

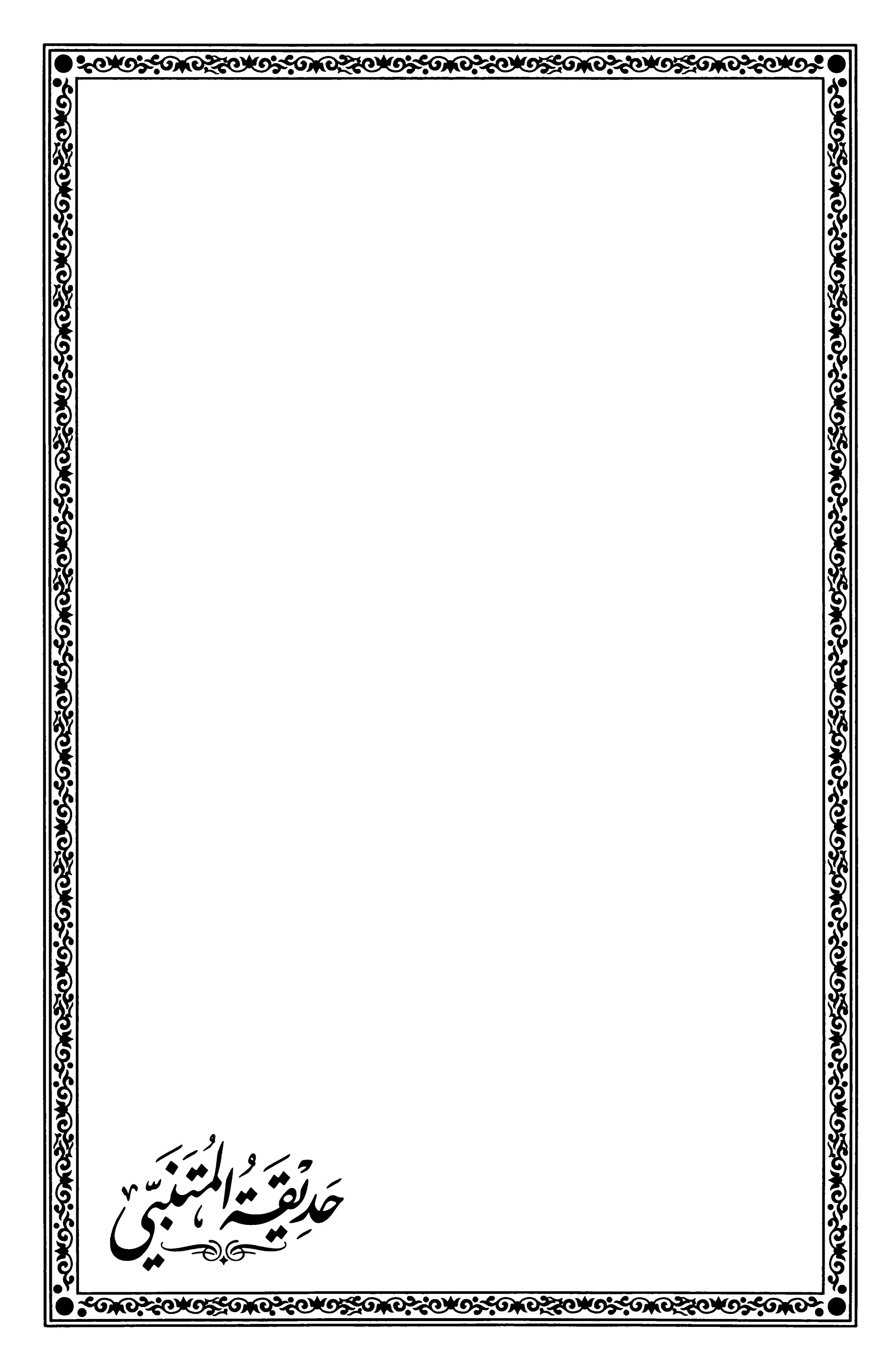
حديقة المتنبي

إبراز أهم وأشهر قصائد المتنبي، وشرحها،
وتحليل شخصيته من خلال قصائده

تأليف

أحمد بن ناصر الطيار

مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع


حديقة المتنبي



عنوان المصنف: حديقة المتنبي

تأليف: أحمد بن ناصر الطيار

رقم الإيداع: ١٧٩٣/ ٢٠٢٣

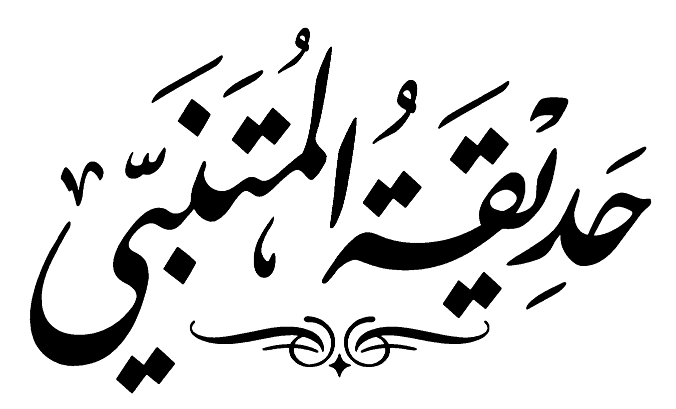
الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٠٤-٠٨٤-٥

الطبعة الأولى

(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)



المملكة العربية السعودية - الرياض - شارع السويدي العام - شرق النفق
الإدارة والمبيعات جوال - ٠٠٩٦٦٥٦٧٣٣٣٤١٧ - ٠٠٩٦٦٥٦٥٦١١٥٠٠٥٨ - ٠٠٢٠١١١٦٨٩٩١٠٠ - ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣
الإسكندرية - ١٧٥ ش طيبة سبورتنج بجوار مسجد الصديق هاتف: ٠٣/٥٤٦١٥٨٣ - جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥١
القاهرة - ٦ ش المدرسة متفرع من ش البيطار - خلف الجامع الأزهر الشريف - هاتف: ٠٢/ ٢٥١٠٧٤٧٢
جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥٠ - ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣ - فاكس: ٠٣٤٣٨١٥٠٩
البريد الإلكتروني: d.alhijaz@gmail.com



إبراز أهم وأشهر قصائد المتنبي، وشرحها،
وتحليل شخصيته من خلال قصائده





بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمدَ للهِ نَحمَدُه ونَستَعينُه ونَستَغفِرُه ونَتوبُ إليه. ونَعوذُ باللهِ من شُرورِ أنْفُسِنا وسيِّئاتِ أعْمالِنا، مَن يَهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هَاديَ له.

وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحدَه لا شَريكَ له، له المُلكُ، وله الحَمدُ، وهو على كلِّ شَيءٍ قَديرٌ.

وأشهَدُ أنَّ محمَّدًا عَبدُ اللهِ ورَسولُه، صَلَواتُ اللهِ وسَلامُه عليه، وعلى آلِه وصَحبِه والتَّابِعينَ لهُم بإحْسانٍ.

أمَّا بعدُ:

فبَعدَ قِراءَتي دِيوانَ المُتنبِّي كامِلًا، بتَمهُّلٍ وتَمعُّنٍ، أُعجِبْتُ كَثيرًا - كغَيْري - بغالِبِ قَصائِدِه، وجَمالِ أُسلوبِه، وسِحرِ بَيانِه، وبَديعِ تَوْصيفِه، ولقد رأيْتُ أُسْلوبي في الكِتابةِ والحَديثِ قد تَغيَّرَ كَثيرًا بعدَ قِراءَتي دِيوانه خاصَّةً، ودَواوينِ غَيرِه كدِيوانِ حسَّانَ بنِ ثابِتٍ ﷺ، ودِيوانِ الشَّافِعيِّ، وأحمد شوقي رَحِمَهما اللهُ وغَيرِهما، وقراءةِ كُتبِ الأدَبِ، ككُتُبِ الأَديبِ المَنْفَلوطيِّ وعَلي الطَّنْطاوي رَحِمَهما اللهُ وغَيرِهما.

وقد أحبَبْتُ تَيْسيرَه بتَدْوينِ أهَمِّ وأفضَلِ قصائِدِه وأبياتِه؛ ليَستَفيدَ منه غيرُ المُتخصِّصينَ كما استفَدْتُ، ويَنتَفِعوا به كما انتَفَعْتُ.

وليس كلُّ شاعرٍ مهما عَلا قَدْرُه، وسَمَا ذِكرُه، واشتَهَرَتْ قَصائدُه، تَكونُ قَصائدُه في رُتْبةٍ واحِدةٍ، ووَتيرةٍ محدَّدةٍ، بل بعضُها بلغَتْ في قوَّتِها وجمالها وروعتها مبلغًا عظيمًا، وبعَضْها لا تَستحِقُّ أنْ تُذكَرَ، فيُحمَدَ صاحِبُها ويُشكَرَ، وصاحِبُنا كذلك؛ ولذا انتَقَيْتُ أفضَلَ وأقْوى قَصائدِه وأبياتِه ـ حسَبَ رَأْيي وذَوْقي ـ.

وديوانه أشبه ما يكون بالحديقة الجميلة، المليئة بصنوف الأشجار والأزهار الجميلة، والثمار اللذيذة، ولكنها لا تخلو من الشوك والثمار الرديئة، التي لا تؤثّر على جمالها ونضرتها.

وما في الحَواشِي من التَّعْليقاتِ فهي من شُروحِ ديوانِ المُتَنَبِّي، وهي:

١ ـ شرحُ ديوان المُتَنَبِّي للواحِدي.

٢ ـ مُعجِزُ أحمد لأبي العلاء المَعَرِّي.

٣ ـ حَواشٍ على ديوانِه، من إصْدار دار صادر.

وقد انتقَيْتُ لكلِّ بيتٍ أفضَلَ شَرحٍ له، ورُبَّما جمَعْتُ في بيتٍ واحدٍ أكثَرَ من مَصدَرٍ.

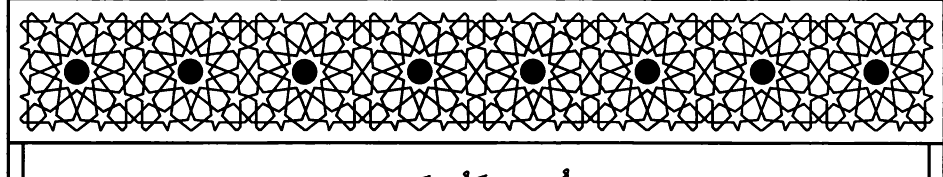
وأضفْتُ بعضَ تَعْليقاتي، وصدَّرْتُها بقَوْلي: قلْتُ.

* * *

معَ العِلم بأنَّ هناكَ مَنِ انْتَقى أفضَلَ وأحسَنَ أبْياتِ المُتَنَبِّي، ومن أقدَمِ مَن وقَفْتُ عليه: إسْماعيلُ بنُ عَبَّادِ بنِ العبَّاسِ، أبو القاسِمِ الطَّالْقانيُّ، المشهورُ بالصَّاحِبِ بنِ عبَّادٍ (المتوفَّى: ٣٨٥هـ)، وسمَّاه:

الأمثال السائرة من شِعر المُتَنَبِّي، وله ذَوقٌ ومَنهجٌ في الاخْتيارِ، ولكنَّه لم يَشرَحْه، ولم يُبيِّنْ مَعانيَ الكَلِماتِ الغَريبة.

أحمد بن ناصر الطيار
خطيب جامع
عبد الله بن نوفل بالزلفي
البريد الإلكتروني:
ahmed0411@gmail.com
رقم الجوال: ٠٥٠٣٤٢١٨٦٦
تاريخ الانتهاء من إعدادِه: ١٤٣٣/٨/٢٥



أفضَلُ وأبلَغُ قَصائدِه

١ ـ قَصيدَتُه التي قالَها في صِباهُ، يَمدَحُ أبا المُنتَصِرِ: شُجاعَ بنَ محمَّدِ بنِ الرِّضا الأزْديَّ (ص٢٠):

أَرَقٌ عَلى أرَقٍ وَمِثْلِيَ يَأرَقُ ... وَجَوًى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقْرَقُ(١)

جُهْدُ الصَّبابَةِ أنْ تَكونَ كَما أُرَى ... عَينٌ مُسَهَّدَةٌ وقَلْبٌ يَخْفِقُ(٢)

مَا لاحَ بَرْقٌ أوْ تَرَنَّمَ طائِرٌ ... إلَّا انْثَنَيْتُ وَلي فُؤادٌ شَيِّقُ(٣)

جَرَّبْتُ مِنْ نَارِ الهَوَى ما تَنْطَفي ... نَارُ الغَضَا وَتَكِلُّ عَمَّا يُحْرِقُ(٤)

---

(١) **يقولُ**: اشتَدَّ بي الأرَقُ حتى امتنَع عني النومُ تمامًا، ومِثلي في الحُبِّ والعشقِ جَديرٌ بأنْ يأرَقَ، والجَوى ـ وهو الحزنُ ـ ما زال يَزيدُ، والعَبَراتُ لا يتوقَّفُ انهمارُها.

(٢) **يقولُ**: إنَّ الغايةَ منَ الصَّبابة ورقَّة الشَّوق أنْ يبلُغَ الحالُ كما تَراني: مُسَهَّدَ العينِ خافِقَ القَلبِ.

(٣) **يقولُ**: لم يلمَعْ بَرقٌ أو نَجمٌ ولم يَترنم طائرٌ، يَدْعو إلْفَه إلَّا انعطَفْتُ ورجَعْتُ إلى نَفْسي، وأنا مُشتاقٌ، مُهيجَ القلبِ لذِكْر المحبوبةِ. وتَهْييجُ لَمَعانِ البَرقِ لقَلبه على مَعنَيَينِ: أحَدُهما أنَّه يُذكِّرُه ثَغرَها المُضيءَ، والثَّاني: أنَّه يَلمَعُ من جانِبِ المحبوبةِ وناحِيَتِها، فشوقُه لهذا الوجهِ، أما ترَنُّمُ الطائر؛ فلأنَّ صوتَه العذبَ يبعَثُ الحزنَ في قلبِه، أو لأنَّه ربَّما ترنَّمَ من ناحيةِ المحبوبةِ كذلك.

(٤) **يقولُ**: إنَّ نارَ العِشقِ التي أصابَتْه أشَدُّ وأوْرَى من نارِ الغَضى، بل نارُ الغَضى تَنطفئُ ويذهبُ حرُّها ـ على ما عُرِفَ من شدَّةِ اسْتِعارِ نارِ الغَضى وبقائِها ـ وما زالَتْ نيرانُ قَلبِه موقَدةً تلهَّبُ.

وَعَذَلْتُ أَهْلَ العِشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ ... فعَجِبْتُ كيفَ يَموتُ مَن لا يَعشَقُ[١]
وَعَذَرْتُهُمْ وعَرَفْتُ ذَنْبي أَنَّني ... عَيَّرْتُهُمْ فَلَقِيتُ منهُمْ ما لَقُوا
أَبَني أَبِينَا نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلٍ ... أَبَدًا غُرابُ البَيْنِ فينَا يَنْعَقُ[٢]
نَبْكي عَلى الدُّنْيا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ ... جَمَعَتْهُمُ الدُّنْيا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا
أَيـنَ الأكاسِرَةُ الجَبابِرَةُ الأُلى ... كَنَزُوا الكُنُوزَ فَما بَقِينَ وَلا بَقُوا
مِنْ كلِّ مَن ضاقَ الفَضاءُ بجيْشِهِ ... حتَّى ثَوَى فَحَواهُ لَحدٌ ضَيِّقُ
خُرْسٌ إذا نُودوا كأنْ لم يَعْلَمُوا ... أنَّ الكَلامَ لَهُمْ حَلالٌ مُطلَقُ[٣]
فَالمَوْتُ آتٍ وَالنُّفُوسُ نَفائِسٌ ... وَالمُسْتَعِزُّ بِمَا لَدَيْهِ الأحْمَقُ[٤]
وَالمَرْءُ يأمُلُ وَالحَيَاةُ شَهِيَّةٌ ... وَالشَّيْبُ أوْقَرُ وَالشَّبيبَةُ أنْزَقُ[٥]

---

(١) **يقولُ**: كنتُ أعذِلُ أهلَ العشِقِ؛ لجَهْلي به، حتى دُفِعْتُ إلى العِشْق، فلما ذُقْتُه عجِبْتُ كيف يموتُ مَن لا يدخُلُ العشقُ قلبَه؟! فكأنَّه يقولُ: إنَّ أقْوى أسبابِ الموتِ العِشقُ، وإنَّ مَن بعُدَ عنه فهو بمَعزِلٍ عن الموت.

(٢) يُحتمَلُ أنْ يريدَ به: يا إخوانَنا وأهلَ نَسَبِنا، ويُحتمَلُ أنْ يُريدَ به: يا بَني آدَمَ. وغُراب البَيْن. قيلَ: المرادُ به الموتُ. ويَنعَقُ أي: يَصيحُ.
يقولُ: يا بَني أبينا. نحن أهلُ منازلَ يُقْضى علينا فيها بالموتِ والفِراقِ، فإنْ كان اليومَ وقَعَ الفراقُ بيْنَنا، فكذلك يقَعُ في الدُّنيا بيْنَ أهلها؛ أورد ذلك موردَ التَّسْلية والوَعْظ للمُخاطَبين.

(٣) **يقولُ**: هؤلاء الملوكِ ماتوا، وصاروا كالخُرْس لا يُجيبونَ إذا نودُوا، كأنَّهم ظنُّوا أنَّ الكلامَ حَرامٌ عليهم لا يجوزُ.

(٤) **يقولُ**: إنَّ الموتَ آتٍ لا محالةَ، وإنْ كانتِ النُّفوسُ عَزيزةً شَريفةً؛ فإنَّ الموتَ لا يترُكُ غَنيًّا أو فَقيرًا، والأحمَقُ مَن غرَّتْه دُنْياه وسوَّلَتْ له نفْسُه غيرَ ذلك.

(٥) **النَّزَقُ**: الخِفَّةُ والطَّيْشُ. يُريدُ أنَّ الإنسانَ ما دام شابًّا قويًّا؛ فإنه يَطمَحُ في الحياة، ويَرْجو بقاءَ الشباب وعدمَ زواله، مع أنَّ التقدُّمَ في العُمْر أدْعى إلى الوَقار والهَيْبة، ومرحلة الشباب طَيْشٌ وسَفَهٌ.

أمَّا بَنُو أوْسِ بنِ مَعْنِ بنِ الرِّضَى ... فأعَزُّ مَنْ تُحْدَى إليهِ الأيْنُقُ[١]

كَبَّرْتُ حَوْلَ دِيارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ ... مِنْها الشُّموسُ وَليسَ فيها المَشرِقُ[٢]

وعَجِبتُ من أرْضٍ سَحابُ أكفِّهمْ ... من فَوْقِها وَصُخورُها لا تُورِقُ[٣]

وَتَفُوحُ من طِيبِ الثَّنَاءِ رَوَائِحٌ ... لَهُمُ بكُلِّ مَكانَةٍ تُسْتَنشَقُ[٤]

مِسْكِيَّةُ النَّفَحاتِ إلَّا أنَّهَا ... وَحْشِيَّةٌ بِسِواهُمُ لا تَعْبَقُ[٥]

أمُرِيدَ مِثْلِ مُحَمَّدٍ في عَصْرِنَا ... لا تَبْلُنَا بِطِلابِ ما لا يُلْحَقُ[٦]

لم يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ مثلَ مُحَمَّدٍ ... أحَدًا وَظَنِّي أنَّهُ لا يَخْلُقُ[٧]

---

(١) **يقولُ**: هؤلاء المَمْدوحون هُم أعزُّ مَن تُوَجَّهُ إليهم أعناقُ الإبِلِ، ويُقصَدُ إليهم؛ لطلب المال، والجاه، لسَخائِهم.

(٢) **يقولُ**: إنَّ ديارَهُم ليستْ في نواحي المشرِق، ولكنَّها في نواحي المغرِب، فلما رأيْتُ صورَهم الحِسانَ بمنزلة الشموس، مع أن المعهودَ من الشمس أنها تطلُعُ من جهة المشرِق كبَّرْتُ لتَعَجُّبي من ذلك؛ فإنِّي رأيْتُ الشمسَ في غير جهةِ المشرِق!

(٣) **يقولُ**: عجِبْتُ من صخور هذه الأرض التي هي مقرُّهم، كيف لا تورِقُ؟ وفوقَها تُمطر سحائبُ أكُفِّهم؛ يصِفُهم بالسَّخاء.

(٤) **يقولُ**: إنَّ هؤلاء القومَ تَفوح لهم من طيب ما يُثني عليهم روائحُ طيِّبةٌ! تصِلُ إلى كل مكان، ويَشُمها كل إنسانٍ، فيقصِدُ الناسُ إليهم من كل جانب لطَلَب معروفهم وكَرَمهم.

(٥) **يقولُ**: روائحُ ثَنائهم يفوحُ منها ما يفوحُ من المِسْك، إلَّا أنها نافِرة من غيرِهم، ولا تعبَقُ بسِواهم؛ يصِفُهم باخْتِصاص الثَّناء بهم، وأنه لا يَستحِقُّه سِواهم.

(٦) **يقولُ**: يا مَن يُريد أن يكون مثلَ محمدٍ الممدوحِ لا تُجرِّبنا بطلَب ما لا يُلحَق، ولا يوجَد. يعني: أنه لا نظيرَ له، فطلبُ مثلِه أمرٌ مُحالٌ.

(٧) **يقولُ**: لم يخلُقِ اللهُ تعالى مثلَه أحدًا فيما مضى، ويَقيني أنه لا يُخلَقُ مثلُه في المستقبل؛ إذ الأمور الآتية مُعتَبَرة بالماضية. وهذا كذِبٌ ظاهرٌ.

يا ذا الَّذي يَهَبُ الكَثيرَ وَعِنْدَهُ أَنَّـى عَـلَـيْـهِ بـأَخْـذِهِ أتَـصَـدَّقُ(١)

أمْطِرْ عَـلـيَّ سَحَابَ جُودِكَ ثَـرَّةً وَانـظُـرْ إلـيَّ بـرَحْـمَـةٍ لا أغْـرَقُ(٢)

كَـذَبَ ابنُ فاعِلَةٍ يَقُولُ بجَهْلِهِ مـاتَ الـكِـرامُ وَأنْـتَ حَـيٌّ تُـرْزَقُ



(١) **يقولُ**: يا مَن يُعْطي العطاءَ الجزيلَ، ويرى أني مُتصدِّق عليه بأخْذي منه؛ وذلك لسُروره بما يُعْطيه لي.

(٢) **يقولُ**: تفضَّلْ عليَّ، وجُدْ بكريم عطائكَ وفَيْض نَوالِكَ، ولا تُرضِ نفْسَك في العطاء؛ فإني حينَئذٍ أهلِكُ غرَقًا في أمواج كَرَمِكَ.

٢ ـ قَصيدَتُه التي يصِفُ الأسَدَ وقِتالَ بَدرِ بنِ عَمَّارٍ إيَّاهُ، حيثُ خرَجَ بَدرٌ إلى أسَدٍ، فهرَبَ الأسَدُ منه! وكانَ خرَجَ قَبلَه إلى أسَدٍ آخَرَ، فهاجَه عن بَقَرةٍ افترَسَها، بعدَ أنْ شبعَ وثَقُلَ، فوَثَبَ على كَفَلِ فَرَسِه، فأعْجَلَه عنِ اسْتِلالِ سَيفِه، فضَرَبَه بسَوْطِه، ودارَ الجَيشُ به فقُتِلَ. فقال أبو الطَّيِّبِ (ص٩٧):

في الخَدِّ أَنْ عَزَمَ الخَليطُ رَحيلَا ... مَطرٌ تَزيدُ بهِ الخُدودُ مُحولَا[١]

يا نَظْرةً نفَتِ الرُّقادَ وغادَرَتْ ... في حَدِّ قَلْبي ما حَيِيتُ فُلولَا[٢]

كانَتْ منَ الكَحْلاءِ سُؤْلي إنَّما ... أَجَلي تمثَّلَ في فُؤادي سُولَا[٣]

أَجِدُ الجَفاءَ علَى سِواكَ مُروءةً ... والصَّبرَ إلَّا في نَواكَ جَميلَا[٤]

---

(١) «أنْ» في قوله: «أنْ عزَمَ الخليطُ» معناه: لأنْ عزَمَ. أو: لأجْل أنْ عزَمَ.. والخليطُ: العشيرُ. والمعنى: إن في خَدِّي من أجْل فِراق أحبَّائي دَمعًا مُتقاطِرًا كالمطر في التقاطُر والسَّيَلان، ولكنَّه يُخالف المطرَ في الأثَر؛ لأنَّ المطرَ يُخصبُ المُحولَ ويُنبتُ البُقولَ، ودَمْعي يَجْري على خَدِّي الناضِر، فيُبطِلُ نَضرتَه ويُغيِّر حُسنَه، ويَزيد ذُبولَه. وهو المراد بالمُحول.

(٢) **فلول**: جَمْع فَلٍّ، وهو الأثَرُ في الخَدِّ، من السِّكِّين وغيرِه.

يقولُ: يا نظرةً عند الوداع ما أعظَمَها! فإنها نفَتِ الرُّقادَ عنِّي، وغادرَتْ في قَلْبي أثرًا لا يندمِلُ ما دمْتُ حيًّا.

(٣) **يقولُ**: كانت أمْنيَّتُه وطلَبُه أنْ ينظُرَ إلى تلك الفتاة الكَحْلاء قبل أن تُغادِرَ، فلمَّا رآها أفنَتْ تلك النظرةُ رُوحَه، فكأنَّما تبَدَّى له الأجَلُ في صورة ذلك الطلَب الذي ظنَّ به حياةَ قلبِه.

(٤) أرادَ بالجَفاء النَّبْوَ والامْتناعَ. يقولُ: الامتناعُ منَ النِّساء مُروءةٌ عِندي إلا منكِ، والصبرُ جميلٌ إلَّا في بُعْدِكِ.

وأرى تَدلُّلَكَ الكَثيرَ مُحبَّبًا وأرَى قَليلَ تَدلُّلٍ مَمْلولَا
حَدَقُ الحِسانِ مِنَ الغَواني هِجْنَ لي يومَ الفِراقِ صَبابةً وغَليلَا[1]
حَدَقٌ يُذِمُّ مِنَ القَواتِلِ غَيرَها بَدرُ بنُ عَمَّارِ بنِ إسْماعِيلَا[2]
الفارِجُ الكُرَبَ العِظامَ بِمِثلِها والتَّارِكُ المَلِكَ العَزيزَ ذَليلَا
مَحِكٌ إذا مَطَلَ الغَريمُ بدَينِه جعَلَ الحُسامَ بما أرادَ كَفيلَا[3]
نَطِقٌ إذا حطَّ الكَلامُ لِثامَه أعْطى بمَنطِقِه القُلوبَ عُقولَا[4]
رقَّتْ مَضارِبُه فهُنَّ كأنَّما يُبْدينَ مِن عِشقِ الرِّقابِ نُحولَا[5]
أمُعفِّرَ اللَّيثِ الهِزَبْرِ بسَوْطِه لمَنِ ادَّخَرْتَ الصَّارِمَ المَصْقُولَا[6]

---

(١) **يقولُ**: لَمَّا نَظَرتُ يومَ الفراق إلى الجواري الحِسان، وتأمَّلتُ حُسن عيونهن هيَّجت لي أحداقُهن رقَّةَ الشَّوق وحرارةَ القلب.

(٢) **يُذِمُّ**: أي: يُعْطي الذِّمَّةَ فيُجيرُ ويمنَعُ. يُريد أنَّ بدرًا يُجير مَنِ التجأ إليه من كل مَن أراد قتلَه، إلا تلك الحَدَقَ؛ فإنَّه لا يُجيرُ مَنِ احتَمى به منها.

(٣) **مَحِك أي**: لُجوجٌ في الخصومة. وأراد بالغريم: قِرْنَه، وبالدَّيْن: روحَه.
يقولُ: إنه لجوجٌ، فإذا أنال قرنًا، أو طالب بدم، أو طلب ما يُريد طلَبَه، جعَلَ سيفَه ضامنًا له حتى يؤدِّيَه إليه. أي: أنه لا يحتاجُ لأَخْذه إلى الكفيل، بل يأخُذُه بسيفه؛ لقُدْرته وتمكُّنه.

(٤) **يقولُ**: إنَّه متكلِّمٌ بارعٌ، فإذا أهْوى لِثامَه عن وجهه ليتكلَّمَ، أفاد المستمِعَ بمنطقه، حتى كأنه يمنَحُه عقلًا كاملًا.

(٥) **يقولُ**: إنَّ مضاربَ سيفه رقَّت من كثرة الطَّعْن والضَّرْب واصْطِكاك السيوف، فكأنَّها عشِقَت الرِّقابَ فنحُلَ جسمُها؛ ولهذا كان العشقُ يورِثُ النُّحولَ. والمضارب: جمعُ المَضرِب، وهو حدُّ السيفِ.

(٦) **المُعَفِّر**: مِن عَفَّرْتَه، إذا ألقيْتَه على العَفَر: وهو التُّراب. والهِزَبْر: من أسماء الأسد. فكأنه وصَفَه بشدَّة الصَّوت. يُريد: إذا كُنتَ قد واجهتَ الأسدَ ـ وهو أقْوى الوُحوش ـ بالسَّوْط فأردَيْتَه على الأرض صريعًا، فكيفَ إذا أخرجْتَ سيفَكَ من غِمْده؟! ومَن الذي تحتاج معه إليه، وقد صرعْتَ مَن هو أقْوى منه بدونه؟!

وقـعَـتْ عـلـى الأُرْدُنِّ مـنـه بَـلـيَّـةٌ نُـضِـدَتْ بـهـا هـامُ الرِّفـاقِ تُـلـولَا(١)

وَرْدٌ إذا وردَ الـبُـحَـيـرةَ شـارِبًـا وردَ الـفُـراتَ زَئـيـرُه والـنِّـيـلَا(٢)

مُـتـخـضِّـبٌ بـدَمِ الـفَـوارِسِ لابِـسٌ فـي غِـيـلِـه مـن لِـبـدَتَـيْـه غِـيـلَا(٣)

مـا قُـوبِـلَـتْ عَـيْـنـاه إلَّا ظُـنَّـتَـا تَـحْـتَ الدُّجـى نـارَ الفَـريـقِ حُـلـولَا(٤)

يَـطَـأُ الـثَّـرى مُـتَـرفِّـقًـا مـن تِـيـهِـهِ فـكـأنَّـه آسٍ يَـجُـسُّ عَـلـيـلَا(٥)

قَـصَـرَتْ مَـخـافَـتُـه الـخُـطـى فـكـأنَّـمـا رَكِـبَ الـكَـمِـيُّ جَـوادَه مَـشْـكـولَا(٦)

---

(١) **الأُردنُّ**: نهرٌ بأرض الشام، ونُضِدَتْ أي: جُعِلَت بعضُها فوقَ بعض. والرفاقُ: جمع رُفْقة، وهم قومٌ يجتمعونَ للسفر. يقولُ: إنَّ ذلك الأسد قد أفسد في الأرض، وأكثر قتلَ المسافرين حتى صارت رؤوسُهم المجتمِعةُ كالتُّلول.

(٢) **وردٌ**: اسم للأسد، إذا كان يضرِبُ لونُه إلى الحُمرة. والبحيرةُ: بحيرةُ طَبَريةَ، وهي من الأُردن.
يقولُ: إنه إذا وردَ البحيرةَ ليشرَبَ منها سُمِع زئيرُه من الفرات إلى النيل مع بُعْد المسافة.

(٣) **الغِيلُ**: الأَجَمةُ. ولِبدةُ الأسد: ما تلبَّدَ على كَتِفه ومَنكِبَيه من وَبَره.
يقولُ: إنه مختضِبٌ من دماء الفوارس؛ لكثرة ما افترَسَهم. وخصَّهم بالذِّكْر؛ لأنهم أمنَعُ من غيرهم، وأنه من كثرةِ وَبَرِه، كأنَّه كان لابِسَ أَجَمةٍ، فهو من وَبَره في أَجَمة.

(٤) **الفريقُ**: الجماعةُ من الناس. وحُلولا أي: حالِّين.
يقولُ: إذا قابلَ إنسانٌ عينَه في الظلمة، ظنَّ أنها نارُ قومٍ نازِلين في مَفازة، وهذه النارُ يكون ضوؤُها أضوَأَ وأظهَرَ من السراج. شبَّهَ بريقَ عَيْنه بهذه النار.

(٥) **يقولُ**: إنه يمشي متمَهِّلًا مُتبختِرًا في تِيهٍ وعُجب؛ كأنَّ رِجْله التي يطأُ بها الأرض يدُ الطبيب تتحسَّس المريضَ في رِفقٍ.

(٦) **قصَرَتْ أي**: جعَلَتِ الخُطى قصيرةً. والكَميُّ: الشُّجاع المُتَكَمِّي بالسلاح. والمشكولُ: المشدودُ بالشِّكال.
يقولُ: إنَّ مخافةَ الفريسةِ من الأسد قد قصَّرتْ خُطُواته؛ فكأنها في بُطْئها وعَجْزها فارسٌ شجاعٌ امْتَطى جوادَه المقيَّدَ، فهو يَستحِثُّه على الإقْدام وهو غير قادرٍ على الحركة.

أَلْقَى فَرِيسَتَه وبَربَرَ دُونَها ... وقَرُبْتَ قُربًا خالَه تَطْفيلَا[١]

فتَشابَهَ الخُلُقان في إقْدامِه ... وتَخالَفا في بَذْلِكَ المَأْكولَا[٢]

أَسَدٌ يَرَى عُضْوَيْه فيكَ كلَيْهما ... مَتْنًا أَزَلَّ وساعِدًا مَفْتولَا[٣]

في سَرْجِ ظامِئةِ الفُصوصِ طِمِرَّةٍ ... يَأْبَى تَفَرُّدُها لهَا التَّمْثيلَا[٤]

نَيَّالةِ الطَّلِبَاتِ لَوْلا أنَّهَا ... تُعْطي مَكانَ لِجامِها مَا نِيلَا[٥]

ما زالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ في زَوْرِهِ ... حَتَّى حَسِبْتَ العَرْضَ منه الطُّولَا[٦]

ويَدُقُّ بالصَّدْرِ الحِجارَ كأنَّه ... يَبْغي إلى ما في الحَضِيضِ سَبيلَا[٧]

---

(١) **البَرْبرةُ**: تَرْجيعُ الصَّوْت. والتَّطْفيلُ: الدُّخولُ على القوم وهم يأكلونَ من غير دَعْوة.
يقولُ: ظنَّ الأسدُ حين علِمَ أنَّك أسدٌ مثلُه، أنَّك أردْتَ التَّطْفيل عليه في فَريسته، فألْقاها وبَربَرَ دونَها، ذبًّا عنها، فوثَبَ عليكَ.

(٢) **يقولُ**: تشابَهَ الخُلُقان؛ منكَ ومنَ الأسد في الإقْدام، واختَلَفا في بَذْل المطاعم؛ فإنك تبذُلُ مَأْكولَكَ، وهو يضِنُّ به ويذُبُّ عنه.

(٣) **المتن**: الصُّلب. والأزَلُّ: الأرسَحُ الممسوحُ العَجُز قليلُ اللَّحم. والمفتولُ: القويُّ الشديدُ.
يقولُ: رأى الأسدُ فيك متنَه الأزَلَّ، وساعِدَه المفتولَ.

(٤) **الظامئةُ**: قليلةُ اللحم. والفصوصُ: المفاصلُ، واحدها فصٌّ. والطِّمِرَّةُ: الوثابةُ، وقيل: المرتفعةُ الشاخصةُ.
يقولُ: نظرَ إليكَ الأسد وأنتَ على فرَسٍ لطيفةِ الأوْصال، يأْبَى تفرُّدُ هذا الفرس بالكمال أنْ يكونَ له مثلٌ، وقيل: أراد: لا يحتاجُ صاحبُه معَه إلى فرَسٍ آخَرَ.

(٥) **يقولُ**: إنها تُدرِكُ كلَّ ما تطلُبُه وهي طويلةُ العُنُق، فلولا أنها تُمكِّنُ مُلجِمَها من رأْسِها ما وصَلَ إليها.

(٦) **الزَّوْرُ**: أعْلى الصَّدْر، عاد إلى وَصْف الأسَدِ.
يقولُ: ما زال يجمَعُ نفْسَه في صَدْره للوَثْبة، حتى حسِبْتَ عَرضَه طُولًا وقيل: أراد أن الفرَسَ إذا أراد الوُثوبَ ضمَّ نفْسَه إلى صَدْره.

(٧) **الحِجار**: كالحِجارة، وأراد بالحضيض: هاهنا أسفلَ الأرض.

=

وكَـأَنَّـهُ غَـرَّتْـهُ عَـيْـنٌ فـادَّنَـى لا يُبْصِرُ الخَطْبَ الجَليلَ جَليلَا[١]

أَنَفُ الكَريمِ مِنَ الدَّنيئَةِ تارِكٌ في عَينِهِ العَدَدَ الكَثيرَ قَليلَا[٢]

والعارُ مَضَّاضٌ ولَيسَ بخائِفٍ مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خافَ ممَّا قِيلَا[٣]

سَبَقَ التِقاءَكَهُ بوَثْبَةِ هاجِمٍ لَوْ لم تُصادِمْهُ لجازَكَ مِيلَا[٤]

خَذَلَتْهُ قُوَّتُهُ وقَدْ كافَحْتَهُ فاستَنْصَرَ التَّسْليمَ والتَّجْديلَا[٥]

قَبَضَتْ مَنِيَّتُهُ يَدَيْهِ وعُنْقَهُ فَكَأنَّما صادَفْتَهُ مَغْلُولَا[٦]

= يقولُ: إن المذكورَ قبلَه ما زال يدُقُّ الحجارةَ بصَدْره عند وُثوبه، حتى كأنه يُريد أن يشُقَّها ويَغوصَ فيها.

(١) **ادَّنى**: افْتَعَلَ من الدُنُوِّ أي: دَنا.
يقولُ: كأنَّ الأسدَ غرَّته عينُه حين رآكَ إنسانًا كسائر الناس، فدنا إليكَ، ولم يعلَمْ أنك أسدٌ، ولو علِمَ بأْسَكَ لم يجرُؤْ عليكَ، فلما لم يعلَمْ ذلك، رأى الإقدامَ عليكَ أمرًا هيِّنًا.

(٢) **الأَنَفُ والأَنَفةُ**: بمعنًى. والدَّنيَّةُ: النَّقيصةُ. وهذا مَثَلٌ. وأراد: أن الأسد أنِفَ من الفرار فأقدَمَ عليكَ، كما أنَّ الكريمَ يطرحُ نفْسَه على العدد الكثير ويرى ذلك الكثيرَ قليلًا؛ لعُلوِّ همَّته. فكذلك الأسدُ أقدَمَ عليكَ مخافةَ الأنَفةِ.

(٣) **مَضَّاضٌ أي**: مُؤْلِمٌ، وهذا أيضًا مَثَلٌ.
يقولُ: مَن أنِفَ منَ العار لم يخَفْ حتفَه؛ لأنه يرى حتفَه أسهَلَ عليه من مَقال الناس فيه.

(٤) **يقولُ**: لَمَّا رآكَ تقربُ منه سبقَكَ بوَثْبة هاجِم، فلولا أنَّكَ صادمْتَه لجازَكَ ميلًا؛ لشدَّة وَثْبه. فضَّله على الأسَدِ.

(٥) **المكافحة**: المواجَهة. والتَّجْديل. السُّقوط على الجَدالة: وهي الأرضُ.
يقولُ: لولا قوَّتُه لَما قتلتَه؛ لأنه لقوَّته أقدَمَ عليكَ، فلمَّا واجهْتَه بقوتِكَ خذَلَتْه قوَّتُه، حتى آثَرَ التسليمَ، فانْقادَ لكَ، واختار السقوطَ على الأرض.

(٦) **يقولُ**: إنَّ أجَلَه قبض يدَيْه وعُنُقه لكَ، فكأنَّه كان مَغْلولًا قبلَ أن تَلحقَه، فصادفْتَه مَغْلولًا لَمَّا لم يُمكِنْه المدافَعةُ.

سَمِعَ ابنُ عَمَّتِهِ بهِ وبحالِهِ فنَجا يُهَرْوِلُ أمْسِ منكَ مَهُولَا[1]

وأمَرُّ مِمَّا فَرَّ مِنْهُ فِرارُهُ وكَقَتْلِهِ أنْ لا يَمُوتَ قَتيلَا[2]

تَلَفُ الَّذي اتَّخَذَ الجَراءَةَ خُلَّةً وَعَظَ الَّذي اتَّخَذَ الفِرارَ خَليلَا[3]

فلَقَدْ عُرِفْتَ وما عُرِفْتَ حَقيقَةً ولَقَدْ جُهِلْتَ وما جُهِلْتَ خُمُولَا

نَطَقَتْ بسُؤْدُدِكَ الحَمامُ تَغَنِّيًا وبمَا تُجَشِّمُها الجِيادُ صَهيلَا

ما كلُّ مَنْ طَلَبَ المَعاليَ نافِذًا فيها ولا كُلُّ الرِّجالِ فُحُولَا



(١) **نجا**: أسرَعَ المشيَ. والهَرْولة: اضطرابُ العَدْو. والمهول: الذي قد هالَه أمرٌ.

يقولُ: إن ابنَ عمَّة هذا الأسد وهو أسدٌ مثلُه سمِع بحال الأوَّل، وقَتْلك إيَّاه، فلما ركِبْتَ إليه فرَّ منك مُسرِعًا، خوفًا أنْ تقتُلَه كما قتلْتَ الأوَّلَ.

(٢) **أمَرُّ أي**: أشَدُّ مَرارةً.

يقولُ: فِرارُه أشَدُّ مَرارةً من القَتْل الذي فرَّ منه. وسلامَتُه من القتل بالهَرَب. يقومُ له مَقامَ القتل؛ لأنه يعيشُ ذليلًا مَهينًا، والموت في العزِّ خيرٌ من العيش في الذُّلِّ.

(٣) **يقولُ**: إن هلاكَ الأسد الذي اختار الجُرأةَ والإقْدامَ عليكَ، وعَظَ الأسَدَ الآخرَ الذي فرَّ منكَ، فخاف إنْ ثبَتَ لكَ أنْ تقتُلَه كما قتلْتَ الأوَّلَ.

٣ ـ قَصيدَتُه التي قالَها حينَ كُبِسَتْ أنْطاكِيَةُ وهو فيها، فقُتِلَ المُهرُ والفَرَسُ، فقال يَندُبُ مُهرَه وفرَسَه: وهي مَليئةٌ بالحِكَمِ المَشْهورةِ، (ص١٥٢):

إذا غـامَـرْتَ فـي شَـرَفٍ مَـرُومٍ ... فَـلا تَـقـنَـعْ بـمـا دونَ الـنُّـجـومِ[١]

فـطَـعْـمُ الـمَـوْتِ فـي أمْـرٍ حَـقِـيـرٍ ... كـطَـعْـمِ الـمَـوْتِ فـي أمْـرٍ عَـظـيـمِ

ستَبْكي شَجْوَهَا فَرَسي ومُهْري ... صَـفـائـحُ دَمْـعُـهـا مـاءُ الـجُـسُـومِ[٢]

قَـرَبْـنَ الـنَّـارَ ثـمَّ نَـشَـأْنَ فـيـهَـا ... كـمَـا نَـشَـأَ الـعَـذارَى في الـنَّـعيـمِ[٣]

وفـارَقْـنَ الـصَّـيـاقِـلَ مُـخْـلَـصـاتٍ ... وأيْـديـهَـا كَـثـيـراتُ الـكُـلُـومِ[٤]

يـرَى الـجُـبَـنـاءُ أنَّ الـعَـجـزَ عَـقْـلٌ ... وتِـلـكَ خَـديـعَـةُ الـطَّـبـعِ الـلَّـئـيـمِ

وكـلُّ شَـجـاعَـةٍ فـي الـمَـرْءِ تُـغْـنـي ... ولا مِـثـلَ الـشَّـجـاعَـةِ فـي الـحَـكـيـمِ

وكَـمْ مـن عـائِـبٍ قَـوْلًا صَـحـيـحًـا ... وآفَـتُـهُ مِـنَ الـفَـهْـمِ الـسَّـقـيـمِ[٥]

---

(١) **يقولُ**: إذا غُرِرتَ بنفسكَ في شرفٍ طالبًا له، فلا تطلُبْ إلا أعظمَه، وحدِّث نفسَكَ بأنَّكَ تَنال النجومَ بعزمِكَ.

(٢) **فاعلُ تبكي**: الصفائحُ، ومفعولُه: فرسي.
يقولُ: سأشْفي نَفْسي بقَتْل مَن قتلهما، فتَجْري دماءُ سُيوفي كأنها دمعُ باكٍ على فرسي ومُهري.

(٣) **يقولُ**: إن هذه السيوفَ قد جعَلَتِ النارَ غذاءً لها، وأرادَ أنها نشأتْ في النار واكتسبتْ منها جَوْهرًا وصَفاءً، كالعَذارى إذا رُبِّينَ في النعيم.

(٤) **يقولُ**: إن الصياقلَ قد أخلصوها صقالًا، وإنها بحِدَّة شِفارها قطَعَت أيديَ صياقِلِها عند صَقْلها وتجربة حدِّها، فكيف يكون حالُها مع غيرِهم؟!

(٥) **يقولُ**: إن الشجاعةَ من الأخلاق الكريمة، وإنما يَعيبها الجبانُ؛ لضعفِ قَلبه، كما أن =

ولَـــكِـــنْ تـــأخُـــذُ الآذانُ مِـــنـــهُ   عـلـى قَـدْرِ الـقَـرَائـحِ والـعُـلُـومِ

۞ ۞ ۞

= كثيرًا من الناس يَعيب الأشياءَ التي لا يلحقها عيبٌ؛ لجَهْله بها. وقيل: إنَّ البيتَ منقطعٌ عمَّا قبلَه، أي: كم إنسانٍ يَعيب قولًا صحيحًا لا آفةَ فيه، وإنما يكون من فَهمٍ سقيمٍ، حيث لا يتصوَّرُ جودةَ الكلام وصحَّتَه.

٤ ـ قَصيدَتُه وهو يَمدَحُ سَيفَ الدَّولةِ ويُعاتِبُه. (ص٢١٢):

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ ... وَمَنْ بِجِسْمي وَحالي عِندَهُ سَقَمُ[١]

ما لي أُكَتِّمُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدي ... وَتَدَّعِي حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الأُمَمُ[٢]

إنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِغُرَّتِهِ ... فَلَيْتَ أنَّا بِقَدْرِ الحُبِّ نَقْتَسِمُ[٣]

قَدْ زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الهِنْدِ مُغْمَدَةٌ ... وَقَدْ نَظَرْتُ إلَيْهِ وَالسُّيُوفُ دَمُ

فكَانَ أحْسَنَ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ ... وَكانَ أحسَنَ ما في الأحسَنِ الشِّيَمُ

فَوْتُ العَدُوِّ الَّذي يَمَّمْتَهُ ظَفَرٌ ... في طَيِّهِ أسَفٌ في طَيِّهِ نِعَمُ[٤]

قَدْ نابَ عَنْكَ شَديدُ الخَوْفِ وَاصْطَنَعَتْ ... لَكَ المَهابَةُ ما لا تَصْنَعُ البُهَمُ[٥]

---

(١) يَتعجَّبُ الشاعرُ من شدَّة محبَّته للممدوح وحرارة قلبه به، ومقابلته ذلك الحبَّ ببرود قلبه وانشغاله عنِّي، وقد أسقَمَتْني محبَّتُه وأتعبَتْني وأورثَتْ جسمي العِلَلَ والأمراضَ. وقيل: بل معنى الشطر الثاني أنَّه يَراني مختلَّ الحال مُدَّعِيًا المحبَّةَ؛ أي: اعتقادُه فاسدٌ فيَّ.

(٢) **أي**: إنَّه يكتُمُ محبَّتَه لسيف الدولة، فيُنحِلُ ذلك جسدَه ويُنهكُه، وقد ادَّعى أقوامٌ كثيرونَ كذِبًا محبَّتَه والإخلاصَ له، فنالوا من عطائه وتقريبه ما لم يَنَلْه هو، وهو الصادق في ذلك.

(٣) **يقولُ**: إن حصلَتْ في حُبِّه الشركةُ فحَظِّي أوفَرُ منه، فليْتَنا نقتسمُ فواضِلَه وعطاياه بقَدْر الحب؛ لأكونَ أوفَرَ نَصيبًا من غيري، كما أني أوفَرُ حبًّا من غيري.

(٤) **يقولُ**: إنَّ هروبَ العدوِّ الذي قصدْتَه منكَ فوزٌ أنعمَ اللهُ به عليكَ بأن كُفيتَه دونَ قتالٍ، وإن كان أصابَكَ فيه شيءٌ من الحزن حين لم تُدركْه فتقتُلَه.

(٥) **أي**: خوفُ العدوِّ منكَ يَنوب عنكَ في شدَّة تأثيره فيهم، فيصنَع لك ما لا تصنَعُه رجالُكَ الشُّجعانُ، والمعنى: أن مَهابتَكَ في قلوب أعدائك أبلَغُ من رجالِكَ وأبطالِكَ الذين معكَ.

أَلزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئًا لَيسَ يَلزَمُها ... أَنْ لا يُوارِيَهُمْ أَرْضٌ وَلا عَلَمُ(١)

أَكُلَّمَا رُمْتَ جَيْشًا فانْثَنَى هَرَبًا ... تَصَرَّفَتْ بِكَ في آثَارِهِ الهِمَمُ(٢)

عَلَيْكَ هَزْمُهُمُ في كُلِّ مُعْتَرَكٍ ... وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عارٌ إذا انهَزَمُوا

أمَا تَرَى ظَفَرًا حُلْوًا سِوَى ظَفَرٍ ... تَصافَحَتْ فيهِ بِيضُ الهِنْدِ وَاللِّممُ(٣)

يَا أعْدَلَ النَّاسِ إلَّا في مُعامَلَتي ... فِيكَ الخِصامُ وَأنْتَ الخَصْمُ وَالحَكَمُ(٤)

أُعِيذُهَا نَظَراتٍ مِنْكَ صادِقَةً ... أنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ(٥)

وَمَا انْتِفَاعُ أخي الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ ... إذا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأنْوارُ وَالظُّلَمُ(٦)

سَيعْلَمُ الجَمْعُ ممَّنْ ضَمَّ مَجلِسُنَا ... بأنَّني خَيرُ مَنْ تَسْعَى بهِ قَدَمُ

---

(١) **يقولُ**: إنكَ قد ألزمْتَ نفْسَكَ في قتال عدوِّكَ والتَّنْكيل به ما ليس بلازمٍ، وهو أنكَ لم تكتَفِ بهزيمتهم وفرارهم، بل أخذتَ على نفسكَ ألَّا يلجؤوا إلى أرضٍ تُخْفيهم عنكَ؛ أي: أوجبْتَ على نفْسِكَ قتلَهم فحسبُ.

(٢) يتساءلُ الشاعر متعجبًا مادحًا: هل يلزمُ أنه كلما هزمتَ جيشًا فلاذَ بالفرار أن تتبعَه وأعملْتَ في آثاره السيوفَ حتى تقتلَهم عن بَكْرة أبيهم؟

(٣) **يقولُ**: لا يَحْلو لكَ الظَّفَرُ إلا إذا ضربْتَ رؤوسَهم بالسيف، والتقَتْ سيوفُكَ مع شعورهم.

(٤) **يقولُ**: أنتَ أعدَلُ الناس إلا في مُعامَلَتي، فإنكَ لست بعدلٍ عليَّ، وخِصامي وقَعَ فيكَ وأنتَ الخَصمُ الحاكمُ، يُريد أنكَ ملِكٌ لا أُحاكِمُكَ إلى غيرِكَ؛ لأن الخصامَ وقَعَ فيكَ.

(٥) الهاء في أُعيذها راجعةٌ إلى النظرات... والمعنى: أُعيذ نظراتِكَ الصادقة ورُؤْيتكَ المتفَحِّصة أن تُخطئَ في حَقِّي، فترى ما أنا فيه من الضرورة سَعةً، ومن المحبَّة نفاقًا، فتكون كمَن يرى الوَرَمَ شحمًا وامْتلاءً.

(٦) إذا لم يميِّز الإنسانُ البصيرُ بيْنَ النور والظُّلمة فأيُّ نَفعٍ له في بَصَره، أي: يجب أن تميِّز بَيْني وبيْنَ غيري ممَّن لم يبلُغْ دَرَجتي، كما تميِّز بيْنَ النور والظلمة.

أَنَا الَّذي نَظَرَ الأعْمَى إلى أدَبي ... وَأسْمَعَتْ كَلِمَاتي مَنْ بهِ صَمَمُ

أنَامُ مِلْءَ جُفُوني عَنْ شَوَارِدِهَا ... وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرَّاهَا وَيخْتَصِمُ(١)

وَجاهِلٍ مَدَّهُ في جَهْلِهِ ضَحِكِي ... حَتَّى أتَتْهُ يَدٌ فَرَّاسَةٌ وَفَمُ(٢)

إذا رَأيْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بارِزَةً ... فَلا تَظُنَّنَّ أنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ(٣)

الخَيْلُ وَاللّيْلُ وَالبَيْداءُ تَعْرِفُني ... وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ والقِرْطَاسُ وَالقَلَمُ

صَحِبْتُ في الفَلَواتِ الوَحْشَ مُنفَرِدًا ... حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّي القُورُ وَالأكَمُ(٤)

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أنْ نُفَارِقَهُمْ ... وِجْدانُنا كُلَّ شَيءٍ بَعدَكُمْ عَدَمُ

مَا كانَ أخلَقَنَا مِنكُمْ بتَكْرِمَةٍ ... لَوْ أنَّ أمْرَكُمُ مِن أمْرِنَا أَمَمُ(٥)

إنْ كانَ سَرَّكُمُ ما قالَ حاسِدُنَا ... فَمَا لجُرْحٍ إذا أرْضاكُمُ أَلَمُ(٦)

---

(١) **يقولُ**: أنامُ ساكنَ النَّفْس متمكِّنَ النَّوْم، لا أعجبُ بشواردِ ما أُبدِعُ، ولا أحفِلُ بنوادِرِ ما أَنْظِمُ، ويَسهَرُ الخَلْقُ في تحفُّظ ذلك وتعلُّمه، ويختصمون في تعرُّفه وتفَهُّمه، فاستقلَّ منه ما يَستَكثِرونه، وأغفُلُ عمَّا يغتَنِمونَه.

(٢) **يقولُ**: ورُبَّ جاهلٍ تَمادى في الإساءة إليَّ والسُّخريَة مني، وغرَّه في ذلك سُكوتني عنه وتَسامُحي معه، فلم يَنتهِ حتى افترسْتُه بيدي وفمي؛ أي: أهلكتُه.

(٣) **يقولُ**: إذا كشَّر الأسدُ عن نابه؛ فليس ذاك تبسمًا، وإنما هو قصدٌ منه الافتراسَ، وهذا مثَلٌ ضرَبَه، يعني أنه وإن أبْدى بِشرَه وتبسمَه للجاهل؛ فليس ذاك رضًا عنه.

(٤) القُورُ جمعُ قارةٍ، وهي الجبلُ الصغيرُ، والأكَمُ جمعُ أَكَمةٍ وهي التلُّ؛ يُريد: صحبتُ الوحش في أسفاري منفردًا، لا أعبأُ ولا أخافُ شيئًا، حتى تعجبتْ مني الجبالُ والتلالُ.

(٥) **يقولُ**: كنتُ حَريًّا بإكرامكم لو أحبَبْتُموني، كما كنتُ أُحبُكم، والمعنى: لو تقارَبَ ما بيْنَنا بالحب لأكرمتموني.

(٦) **يقولُ**: إنْ سُرِرْتُم بقول حاسدِنا وطعنِه فينا: فقد رَضِينا بذلك إنْ كان لكم به سرورٌ؛ فإنَّ جُرحًا يُرضيكم لا ألَمَ له.

وَبَـيْـنَـنَـا لَـوْ رَعَـيْـتُـمْ ذاكَ مَـعْـرِفَـةٌ إنَّ المَعارِفَ في أهْلِ النُّهَى ذِمَمُ[(١)]

كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فيُعْجِزُكمْ وَيَكْـرَهُ اللهُ مَـا تَـأْتُـونَ وَالـكَـرَمُ[(٢)]

مَا أبعَدَ العَيْبَ والنُّقْصَانَ منْ شَرَفي أنَا الثُّرَيَّا وَذانِ الشَّيْبُ وَالهَرَمُ[(٣)]

لَيْتَ الغَمَامَ الَّذي عِنْدي صَواعِقُهُ يُزيلُهُنَّ إلى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيَمُ[(٤)]

لَئِنْ تَرَكْنَ ضُمَيرًا عَنْ مَيامِنِنَا لَيَحْدُثَنَّ لمَنْ وَدَّعْتُهُمْ نَدَمُ[(٥)]

إذا تَرَحَّلْتَ عنْ قَوْمٍ وَقَد قَدَرُوا أنْ لا تُفارِقَهُمْ فالرَّاحِلونَ هُمُ[(٦)]

شَرُّ البِلادِ مَكانٌ لا صَديقَ بِهِ وَشَرُّ ما يَكسِبُ الإنْسانُ ما يَصِمُ

وَشَرُّ ما قَنَّصَتْهُ رَاحَتي قَنَصٌ شُهْبُ البُزاةِ سَواءٌ فيهِ والرَّخَمُ[(٧)]

---

(١) **يقولُ**: بيْنَنا معرفةٌ لو رَعَيْتُموها، وتقديرُ الكلام: وبيْنَنا معرفةٌ لو رَعَيْتم تلك المعرفةَ. . . ، فإن لم يجمَعْنا الحبُّ؛ فقد جمعَتْنا المعرفةُ، وأهل العقل يُراعون حقَّ المعرفة، والمعارف عندَهم عهودٌ وذمِمٌ لا يُضيعونها.

(٢) **يقولُ**: تَطلُبونَ أنْ تُلحقوا بنا عيبًا تَعيبونَنا به فيُعجزكم وجودُه، وهذا الذي تفعلونه مَكْروهٌ عند الله، وعند الكرام.

(٣) **يقولُ**: إنَّ مَثلي في البُعد عن العيب والنقص كمَثل الثُّريَّا التي لا تتصفُ بالشَّيْب والهَرَم، فكما لا يمكنُ اتصافُها بأيهما، فكذلك أنا لا يقتربُ مني العيبُ والنُّقصانُ.

(٤) **يقولُ**: ليتَ هذا الغَمامَ ـ أراد به سيفَ الدولة ـ الذي أصابَني بسَخَطه وضَرَره، يُزيلُ هذا السخطَ عني، ويَصرِفُه إلى مَن يُنزل عليه إنعامَه وعطفَه.

(٥) ضُمَيرٌ جبلٌ على يمين طالب مِصرَ من الشام، يقولُ: إن لحقتْ ركابي بمصرَ ليَندمَنَّ سيفُ الدولة على فراقي.

(٦) إذا سِرتَ عن قومٍ وهُم قادرون على إكرامكَ وارتباطكَ حتى لا تحتاجَ إلى مفارقتهم: فهُمُ المختارون الارتحالَ، يريد بهذا: إقامة عُذْره في فراقهم، أي: أنتم تختارون الفراقَ إذا ألجأتموني إليه.

(٧) **يقولُ**: شرُّ صيدٍ صِدْتُه ما شارَكَتْني فيه اللئامُ، وهذا مَثَلٌ، يريد: أن سيف الدولة =

بـأيِّ لَـفْـظٍ تَـقُـولُ الـشِّـعْـرَ زِعْـنِـفَـةٌ   تَجُوزُ عِندَكَ لا عُرْبٌ وَلا عَجَمُ(١)

هَــذا عِــتــابُــكَ إلَّا أنَّــهُ مِــقَــةٌ   قـد ضُـمِّـنَ الـدُّرَّ إلَّا أنَّـهُ كَـلِـمُ(٢)

۞ ۞ ۞

= يُجْريه في رسم العطاء مُجْرى غيره من خِساس الشعراء، إي: إذا ساواني في أخْذ عطائكَ مَن لا قَدرَ له؛ فأيُّ فضلٍ لي عليه؟

(١) **الزِّعْنِفة**: اللئامُ من الناس، وجمعها زعانِفُ، مأخوذ من زِعْنِفة الأديم، وهو ما يسقُطُ منه من زوائده، يقولُ: هؤلاء الخِساسُ اللئامُ من الشعراء، بأي لفظٍ يقولون الشِّعرَ؟ وليستْ لهم فصاحةُ العرب، ولا تسليمُ العجم الفصاحة للعرب، فليسوا شيئًا.

(٢) هذا الذي أتاكَ من الشِّعر عتابٌ مني إليكَ وهو مِقةٌ ووُدٌّ؛ لأن العتاب يَجْري بين المحبِّين، وهو ـ مع كونه كلامًا ـ إلا أنَّه دُرٌّ؛ يعني في حُسن نَظْمه ولَفْظه.

٥ ـ قَصيدَتُه التي يَمدَحُ فيها سَيْفَ الدَّولةِ، ويُهنِّئُه بعيدِ الأضْحى، سنةَ اثنتَينِ وأرْبَعينَ وثَلاثِ مائةٍ (ص٢٣٥):

لِكُلِّ امْرِئٍ مِن دَهرِهِ ما تَعوَّدَا ... وعادَةُ سَيفِ الدَّوْلةِ الطَّعْنُ في العِدَا

وأنْ يُكذِبَ الإرْجافَ عنهُ بضِدِّه ... ويُمسي بما تَنْوي أَعاديهِ أَسْعَدَا[١]

ورُبَّ مُريدٍ ضرَّهُ ضرَّ نَفسِهِ ... وهادٍ إليهِ الجيشَ أهْدى وما هَدَى[٢]

ومُستَكْبِرٍ لم يعرِفِ اللهَ ساعةً ... رَأى سَيفَهُ في كفِّهِ فتَشَهَّدَا

هوَ البَحرُ غُصْ فيه إذا كانَ ساكِنًا ... على الدُّرِّ واحْذَرْهُ إذا كانَ مُزْبِدَا[٣]

فإنِّي رأيْتُ البَحْرَ يَعثُرُ بالفَتَى ... وهذا الَّذي يَأْتي الفَتَى مُتعمِّدَا[٤]

تَظَلُّ مُلوكُ الأرْضِ خاشِعةً لهُ ... تُفارِقُهُ هَلْكى وتَلْقاهُ سُجَّدَا

وَتُحْيي لَهُ المَالَ الصَّوارِمُ وَالقَنا ... وَيَقْتُلُ ما تُحْيي التَّبَسُّمُ وَالجَدَا[٥]

---

(١) **الإرجافُ**: خوضُ العامة في الإخبار عن الملوك بالسيِّئ. وقيل: هو مقدِّمة الكون.
يقولُ: من عادته أيضًا أن يُكذِبَ إرجافَ أعدائه عنه بضدِّ ما أرْجفوا، فإذا نوَوْا على إيقاع شرٍّ به عاد ما تمنَّوْه عليهم، فيَصير هو أسعَدَ من أعدائه.

(٢) **يقولُ**: رُبَّ رجلٍ أراد ضرَّ سيف الدولة فأضرَّ نفْسَه، ورُبَّ رجلٍ قاد جيشًا إلى حربه، فعاد مُنهزِمًا خاسرًا، كأنما ذهَبَ ليُهديَ سيفَ الدولة الغنائمَ والأَسْرى.

(٣) **يقولُ**: هو بحرٌ، فإذا كان ساكنًا فغُص فيه، واستخرِجْ منه الدرَّ، وإذا كان هائجًا مُزبِدًا فاحذَرْه ولا تَقربْه، فتغرقَ فيه. يعني: استمنِحْ منه الرغائبَ في حال السِّلم، واحذَرْ من أن تلقاه محاربًا، فإنَّه يُهلكُكَ.

(٤) **يقولُ**: هو أشدُّ من البحر بأسًا؛ لأن البحرَ إنَّما يُصيب الإنسانَ من غير قصدٍ منه، أما سيفُ الدولة فيتعمَّدُ ذلك ويقصِدُه.

(٥) **الجَدا، والجَدْوى**: العَطيَّةُ.

ذَكِيٌّ تَظَنِّيه طَلِيعَةُ عَينِهِ يَرى قلبُهُ في يَوْمِهِ ما تَرَى غَدَا(١)

وَصولٌ إلى المُستَصْعباتِ بخَيْلِهِ فلو كانَ قَرْنُ الشَّمْسِ ماءً لأوْرَدَا(٢)

فواعَجبًا من دائلٍ أنتَ سيفُهُ أمَا يَتَوَقَّى شَفرَتَيْ ما تَقلَّدَا(٣)

ومَن يَجعَلِ الضِّرغامَ في الصَّيدِ بازَه تَصيَّدهُ الضِّرغامُ فيما تَصيَّدَا(٤)

رأيْتُكَ مَحْضَ الحِلمِ في مَحْضِ قُدْرةٍ ولو شئْتَ كانَ الحِلمُ منكَ المُهنَّدَا(٥)

وما قَتلَ الأحْرارَ كالعَفْوِ عَنهمُ ومَن لكَ بالحُرِّ الَّذي يحفَظُ اليَدَا(٦)

إذا أنْتَ أكرَمْتَ الكَريمَ ملَكْتَهُ وإنْ أنْتَ أكرَمْتَ اللَّئيمَ تَمرَّدَا

ووَضْعُ النَّدَى في مَوضِعِ السَّيْفِ بالعُلا مُضِرٌّ كوَضْعِ السَّيْفِ في مَوْضِعِ النَّدَى(٧)

= يقولُ: يغنمُ الأموالَ بالسيوف والرماح، ثم يَهَبُها بتبسُّمه وجَزيل فضله للزائرين. وقوله: بالتبسُّم: إشارةٌ إلى أنه لا يمكنُ أن يؤخَذَ منه على وجه القَهْر.

(١) **تَظَنِّيه**: أصلُه تَظَنُّنُه. يقولُ: هو ذكيٌّ يعرِفُ الأمرَ قبلَ مَوقِعِه، فكأن ظَنَّه طَليعةٌ لعَيْنه، فهو يرى بقلبِه اليومَ ما تراه أيها الإنسانُ بعينكَ غدًا.

(٢) **يقولُ**: لا يتعذَّرُ عليه ما يُريده، حتى لو كان قرنُ الشمس ماءً لأورَدَ خيلَه منه.

(٣) **الدائلُ**: صاحبُ الدولة.

يقولُ: ما أعجَبَ أمرَ الخليفة؟! حيث جعلَكَ سيفَه، كيف لا يخافُكَ فأنتَ أقْوى منه سُلطانًا؟! ثم يضرب لهذا مثلًا في البيت التالي.

(٤) **يقولُ**: أنتَ كالأسد، تَصيدُ لنفْسِكَ لا لغيرِكَ، فإن اتخذَكَ الخليفةُ صائدًا له، أوشكَ أن يكون أحدَ فرائسكَ التي تصطادُها لنفْسِكَ.

(٥) **أي**: حلمُكَ عن الجُهَّال عن قُدْرة، ولو شِئْتَ جعلْتَ مكانَه سَيفًا.

(٦) **يقولُ**: إذا قدرْتَ على حرٍّ فعفوتَ عنه، فكأنَّكَ قتلتَه؛ لأنه لا يقدِرُ بعد ذلك على محاربتِكَ، حياءً من إحسانِكَ إليه؛ ولكنْ أين ذلك الحرُّ الذي يحفظُ النِّعمةَ ويَشكُرُها؟!

(٧) **يقولُ**: الإحسانُ إلى مَن يَستحِقُّ السيفَ مثلُ الإساءة إلى مَن يستحِقُّ الإحسانَ، فكلاهما خَرقٌ للحكمة، دليلٌ على فساد الرأيِ.

ولكنْ تَفوقُ النَّاسَ رأيًا وحِكْمةً كما فُقْتَهمْ حالًا ونفْسًا ومَحتِدَا
أزِلْ حَسَدَ الحُسَّادِ عَنِّي بِكَبْتِهِمْ فأنْتَ الَّذي صَيَّرْتَهم لي حُسَّدَا[١]
وما الدَّهْرُ إلَّا من رُواةِ قَلائِدِي إذا قُلْتُ شِعرًا أصبَحَ الدَّهْرُ مُنشِدَا
فسَارَ بهِ مَن لا يَسيرُ مُشمِّرًا وغَنَّى بهِ مَن لا يُغَنِّي مُغرِّدَا[٢]
أجْزِني إذا أُنْشِدْتَ مَدْحًا فإنَّما بشِعْري أتاكَ المادِحونَ مُردَّدَا[٣]
ودَعْ كلَّ صَوتٍ بَعدَ صَوْتي فإنَّني أنا الصَّائحُ المَحْكيُّ والآخَرُ الصَّدَى
تركْتُ السُّرى خَلْفِي لمَنْ قَلَّ مالُهُ وأنعلْتُ أفْراسي بنُعْماكَ عَسْجَدَا[٤]
وقيَّدْتُ نَفْسي في ذُراكَ مَحبَّةً ومَن وجَدَ الإحْسانَ قَيْدًا تَقيَّدَا[٥]
إذا سأَلَ الإنْسانُ أيَّامَهُ الغِنَى وكنْتَ على بُعدٍ جعلْنَكَ مَوْعِدَا[٦]

---

(١) **يقولُ**: أزلْ عني حسَدَ الحسَّاد، بأن تكبِتَهم وتُذِلَّهم، بالازدياد في الإحسان إليَّ والرَّفْع من منزلتي لديكَ، فإنَّك أنتَ الذي جعلْتَهم حُسَّادًا لي، إذ أعطيْتَني وقرَّبْتَ منزلتي عندكَ، حتى حَسَدوني على ذلك.

(٢) **يقولُ**: يسيرُ بشِعْري مَن ليس عادتُه السيرَ، يَهْديه إلى غيره، وكذلك يُغَنِّي به تطريبًا وتغريدًا مَن لم يكُنْ شأنُه الغناءَ، لحُسنه وموافَقَته للطِّباع، فيحمِلُ كلَّ سامع على الاستماع، ويحمِل كلَّ أحد على الإنشاد.

(٣) **يقولُ**: إذا أنشدَكَ الشاعرون المدائحَ فأعْطني الجائزةَ؛ فإني أحقُّ منهم بها، لأنهم أخَذوا المعانيَ من شِعري ورَدَّدوها فيكَ، فكأنهم أتَوْكَ بشِعري ونَسَبوه إلى أنفُسهم.

(٤) **يقولُ**: أغْنَيْتَني بعَطاياكَ، حتى قعَدْتُ عن السُّرى طلبًا للغِنى، وتركْتُ السُّرى لمَن هو قليلُ المال، وكثُرَ لي الذهبُ حتى أنعلتُ به خَيْلي.

(٥) **يقولُ**: أحسنْتَ إليَّ، فأقمْتُ عندَكَ، وصار إحسانُكَ لي قَيدًا يمنَعُني عن الأسْفارِ.

(٦) **يقولُ**: إذا طلب أحدٌ من الأيام أن تُعينه، وكنتَ بعيدًا عنه. قالتْ له الأيامُ: إذا بلغتَ سيفَ الدولة استغنيْتَ. وقوله: «وكنتَ على بُعد» إشارةٌ إلى أن هذا الوعد من الأيام إنما يكون لمَن بعُدَ عنك، فأما القريبُ فقدْ أغنيْتَه فلا يحتاجُ إلى السؤال.

٦ ـ قَصيدَتُه التي قالَها لسَيفِ الدَّولةِ، حين سارَ نحوَ ثَغرِ الحدثِ لبنائِها، وكان أهْلُها أسْلَموها بالأمانِ إلى الدُّمُستُقِ سنةَ سبعٍ وثَلاثينَ وثَلاثِ مائةٍ، فنزَلَها سَيفُ الدَّولةِ يومَ الأرْبعاءِ سنةَ ثَلاثٍ وأرْبَعينَ وثَلاثِ مائةٍ، وبَدأَ في يَومِه فخطَّ الأساسَ، وحفَرَ أوَّلَه بيَدِه، ابْتِغاءَ ما عندَ اللهِ ﷻ، فلمَّا كانَ يومُ الجمُعةِ نازَلَه ابنُ الفُقَّاسِ: دُمُستُقُ النَّصْرانيَّةِ، في نحوٍ من خَمسينَ ألفَ فارِسٍ وراجِلٍ من جُموعِ الرُّومِ والأرْمَنِ والرُّوسِ والبَلْغَرِ والصَّقْلَبِ. ووقعَتِ المُصافَّةُ يومَ الاثْنينِ انْسِلاخَ جُمادى الآخِرةِ من أوَّلِ النَّهارِ إلى وَقتِ العَصرِ، ثمَّ إنَّ سيفَ الدَّولةِ حمَلَ عليه بنَفْسِه في نحوِ خَمسِ مائةٍ من غِلْمانِه وأصْنافِ رِجالِه، فقصَدَ مَوكِبَه وهزَمَه، وأظْفَرَه اللهُ تَعالَى به، وقتَلَ نحوَ ثَلاثةِ آلافِ رَجلٍ من مُقاتِلَتِه، وأسَرَ خَلْقًا كَثيرًا، فقتَلَ أكثَرَهم، واسْتَبْقى البَعضَ، وأقامَ على الحدثِ إلى أنْ بَناها، فقال أبو الطَّيبِ في ذلك، وأنشَدَه إيَّاها بعدَ الوَقْعةِ بالحدثِ.

عَلى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتي العَزائِمُ ... وَتَأْتي علَى قَدْرِ الكِرامِ المَكارِمُ[١]

وَتَعْظُمُ في عَينِ الصَّغيرِ صِغارُها ... وَتَصْغُرُ في عَينِ العَظيمِ العَظائِمُ[٢]

---

(١) **يقولُ**: عزيمةُ كل إنسان على قَدْر همَّته وشَهامة قلبه، إن كان عظيمَ القَدْر والخَطَر، جدَّ أمرُه، ومضَتْ عزائمُه، وإن كان الرجلُ فَشِلًا اضمحَلَّتْ وبطَلَتْ، وكذلك المكارمُ؛ فكلما كان صاحبُها أكرمَ كان ما يأْتيه من المكرُمات أعظَم.

(٢) الضميرُ في صغارها للمكارم والعزائم.

يقولُ: الرجلُ الصغيرُ النَّفْس يَستَكبر الصغيرَ، والعالي الهمَّة يصغُرُ في عينه ما يفعَلُه، وإنْ كان عظيمًا.

يُكَلِّفُ سَيفُ الدَّوْلَةِ الجَيشَ هَمَّهُ ... وَقدْ عَجزَتْ عنهُ الجُيوشُ الخَضارِمُ(١)

وَيَطلُبُ عندَ النَّاسِ ما عندَ نَفْسِه ... وَذلكَ ما لا تَدَّعيهِ الضَّرَاغِمُ(٢)

يُفَدِّي أتَمُّ الطَّيرِ عُمْرًا سِلاحَهُ ... نُسُورُ الفَلا أحْداثُها وَالقَشاعِمُ(٣)

وَما ضَرَّها خَلْقٌ بغَيرِ مَخالِبٍ ... وَقَدْ خُلِقَتْ أسْيافُهُ وَالقَوائِمُ(٤)

هَلِ الحَدَثُ الحَمْراءُ تَعرِفُ لوْنَها ... وَتَعْلَمُ أيُّ السَّاقِيَيْنِ الغَمَائِمُ(٥)

---

(١) **يقولُ**: إن همَّته عظيمة، وهو يكلِّف جيشَه أن تكون لهم مثلُ همَّته، والجيوش الكثيرة تعجز عنه. والهاء في عنه لهمَّته.

(٢) **يقولُ**: يطلُبُ عند الناس من الشجاعة والبأْس ما عند نفْسِه، والأُسودُ تعجِزُ عن ادِّعاء ذلك، فكيف بالناس؟!

(٣) **النُّسورُ**: جَمع النَّسْر. والأحداثُ جمعُ حدَثٍ، وهو الحديث السِّنِّ، والقشاعِمُ: المُسِنَّة الطويلة العُمُر. الواحد قَشْعَم، والْفَلا: الأرضُ الواسعةُ.
يقولُ: إنَّ سلاحَه أكثَرَ القَتْلى في البرِّ قديمًا وحديثًا، حتى شبعَ النُّسورُ منها، فلم تحتَجْ إلى صيد، فقَشاعِمُها: التي هي المُعَمَّرةُ، تُضيفُ إلى الشكر القديم الشكرَ الحديثَ، وأحْداثُها تُثْني عليه بالحديث من لحوم القُتلى، فهُما يَفْديان سلاحَه ويَقولان: نحن الفداءُ لكَ؛ لإنعامِكَ علينا بكثرة القتل؛ إذ في ذلك استراحتُها عن طلب الرزق.
وإنَّما خصَّ النُّسورَ؛ لأنها لا تصيدُ كما تصيدُ الجوارحُ، وإنما تأكلُ الجِيَفَ ولحومَ القَتْلى.

(٤) **القوائم**: جمعُ قائم، وهو قائم السيف.
يقولُ: لا يضرُّ هذه النسورَ أنها قد خُلِقتْ بغير مخالبَ، وأنها لا تصيدُ كالبازي ونحوه، فإن سيوفَ سيف الدولة تُغْنيها عن المخالب، وتقوم لها مقامَها. وإنما قال: القوائم؛ لأن السيوف لا يُنتفَعُ بها إلا بقوائمها.

(٥) **الحدَثُ**: قلعةٌ، وقيل: مدينةٌ. وجعلها حمراءَ؛ لأن سيف الدولة أراق فيها دماءَ الروم، حتى سالتْ عليها كالمطر، ودام ذلك حتى نُسِيَ لَوْنُها الأولُ.
يقولُ: فهل تعرِفُ الحدَثُ لونَها الأولَ، أم نَسِيَتْه من طول ما جرى من الدماء عليها؟ وهل تفرِّقُ بيْنَ سيف الدولة الذي سقاها الدمَ، وبيْنَ الغَمام الذي سقاها الماءَ؟ فتعلَم أيَّ ساقييها الغمائم.

سَقَتْها الغَمَامُ الغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ ... فَلَمَّا دَنَا مِنها سَقَتْها الجَماجِمُ

بَنَاهَا فأعْلى وَالقَنَا يَقْرَعُ القَنَا ... وَمَوْجُ المَنَايَا حَوْلَها مُتَلاطِمُ(١)

طَرِيدَةُ دَهْرٍ ساقَها فَرَدَدْتَها ... على الدِّينِ بالخَطِّيِّ وَالدَّهْرُ رَاغِمُ(٢)

تُفيتُ اللَّيالي كُلَّ شيءٍ أخَذْتَهُ ... وَهُنَّ لِمَا يَأْخُذْنَ منكَ غَوَارِمُ

إذا كانَ ما تَنْوِيهِ فِعْلًا مُضارِعًا ... مَضَى قبلَ أنْ تُلْقى علَيهِ الجَوازِمُ(٣)

وكيفَ تُرَجِّي الرُّومُ والرُّوسُ هَدْمَها ... وَذا الطَّعْنُ آساسٌ لهَا وَدَعائِمُ(٤)

وَقَد حاكَمُوهَا وَالمَنَايَا حَوَاكِمٌ ... فَما ماتَ مَظلُومٌ وَلا عاشَ ظالِمُ(٥)

أتَوْكَ يَجُرُّونَ الحَديدَ كَأنَّمَا ... سَرَوْا بِجِيَادٍ ما لَهُنَّ قَوَائِمُ(٦)

---

(١) **يقولُ**: بنى الحدَثَ حتى أتمَّها وأعْلاها، في حالة المُطاعَنة، وتداخُل الرماح بعضها في بعض، والْتِطام أمواج الموت فيها؛ لكثرة القَتْل.

(٢) **يقولُ**: هذه القَلْعة قد ساقها وذهَبَ بها الدهرُ وجعَلَها للروم، فرَدَدْتَها على المسلمين الذين كانت لهُم من قبلُ، وأرغمتَ أنفَ الدهر وقهرْتَه.

(٣) **يقولُ**: إذا نوَيْتَ فِعلَ شيءٍ تمَّ ومَضى، وتعجَّلْ وقوعَه قبلَ أن تدخلَ عليه الجوازمُ؛ فيَنْهاكَ عنه شيءٌ كدخول لا الناهية، أو يوجِبه عليكَ كإيجاب الفعل بلامِ الأمْر، أو يؤخِّره عنكَ إلى أجَلٍ كما تُفيده لَمَّا، ونحو ذلك.

(٤) **يقولُ**: كيف يطمَعُ الروسُ والرومُ في هَدمِها؟ وأساسُها ودعائمُها دفاعُكَ وطعانُكَ! فإذا كان كذلك فلا سبيلَ لهُم إلى هدمها.

(٥) **يقولُ**: إن الأعداء قد حاكموها وهُم ظالمون، بما تعرَّضوا به من الحرب والجمع، والموت

هو الحاكمُ، فانتصرتَ عليهم وأرجعتَ الحق إلى أصحابه، فما مات مظلومٌ ولا عاش ظالمٌ.

(٦) **يقولُ**: أتَوْكَ وقد دَخلوا في دروعهم، وألبسوا خيولَهم مثلَها، فصاروا لا تُرى قوائمُ خيولهم لكثرة ما لبِسوا من الحديد.

إذا بَرَقُوا لم تُعْرَفِ البِيضُ منهُمُ ثِيابُهُمُ من مِثْلِها وَالعَمائِمُ[١]

خَميسٌ بشَرْقِ الأرْضِ وَالغَرْبِ زَحْفُهُ وَفي أُذُنِ الجَوْزَاءِ منهُ زَمَازِمُ[٢]

تَجَمَّعَ فيهِ كلُّ لِسْنٍ وَأُمَّةٍ فَمَا يُفْهِمُ الحُدَّاثَ إلَّا التَّرَاجِمُ[٣]

فللَّهِ وَقْتٌ ذَوَّبَ الغِشَّ نَارُهُ فَلَمْ يَبْقَ إلَّا صَارِمٌ أوْ ضُبارِمُ[٤]

تَقَطَّعَ ما لا يَقْطَعُ الدِّرْعَ وَالقَنَا وَفَرَّ منَ الفُرْسانِ مَنْ لا يُصادِمُ[٥]

وَقَفْتَ وَما في المَوْتِ شَكٌّ لوَاقِفٍ كأنَّكَ في جَفْنِ الرَّدَى وهْوَ نائِمُ[٦]

---

(١) **البِيضُ**: السيوفُ. وثيابُهم: الدروعُ والجواشنُ، والعمائمُ البيضُ. وقوله: من مثلها أي: الثياب والعمائم كانت مثلَ البيض؛ لأنها كانت من الحديد.
يقولُ: جاؤوكَ في أسلحة تامَّة، فلم تفرقْ بيْنَ سيوفهم وبيْنَهم، لأن ثيابهم وعمائمهم كانت من الحديد.
وقيل: أراد أن السيوف لم تتميَّز من لباسهم، لبريقها ولمعانها.

(٢) **الزحفُ**: السيرُ الهيِّنُ. والزمازمُ: جمعُ زَمْزَمةٍ، وهي كل صوتٍ لا يُفهَم، وأراد به صوتَهم وصليلَ الحديد، وصهيلَ الفرس.
يصِفُ كثرةَ الجيش وأنه ملأَ الأرضَ شرقَها وغربَها، وبلغتْ زمازمُه إلى السماء، والجوزاءُ مُصْغيةٌ إليه تسمَعُ أصواتَه.

(٣) **يقولُ**: إن جيش العدوِّ الذي ملأ الأرضَ، كان قد تجمَّعَ فيه أممٌ مختلفةُ اللغات، فلا يفهَمُ بعضُهم كلامَ بعض إلا بالتُّرْجمان.
وقيل: أرادَ به جيشَ سيف الدولة.

(٤) **الضُّبارمُ**: الأسدُ الشديدُ الغليظُ.
يقولُ: إن وقتَ الحرب أذابَ الغشَّ نارُه.
يعني: أن الحربَ لَمَّا اشتدَّتْ فرَّ منها كلُّ جَبانٍ فَشِلٍ عاجزٍ، وتكسَّر كلُّ سيفٍ غير قاطعٍ، فلم يَبقَ إلا نخبُ الفرسان، فشبَّه الحربَ بالنار، والجُبنَ بالغشِّ الذي تُذيبه النارُ.

(٥) **يقولُ**: لم يَبقَ في ذلك الوقت من السيوف كلُّ سيفٍ لا يقطعُ الدروعَ ولا يمسُّها، وفرَّ من الفرسان كلُّ ضعيفٍ، لا يصادمُ الأبطالَ أي: لا يُحاربُ.

(٦) **يقولُ**: وقفتَ في مَقام مَن قام فيه لا يشكُّ أنَّه يُقتَلُ، وقد أحاط الموت من كل =

تَمُرُّ بكَ الأبْطالُ كَلْمَى هَزيمةً وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ باسِمُ[(١)]

تجاوَزْتَ مِقْدارَ الشَّجاعَةِ والنُّهَى إلى قَوْلِ قَوْمٍ أنتَ بالغَيْبِ عالِمُ[(٢)]

ضَمَمْتَ جَناحَيهِمْ على القَلبِ ضَمَّةً تَمُوتُ الخَوافي تحتَها وَالقَوَادِمُ[(٣)]

حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ حتَّى طَرَحْتَها وَحتَّى كأنَّ السَّيفَ للرُّمْحِ شاتِمُ[(٤)]

وَمَنْ طَلَبَ الفَتْحَ الجَليلَ فإنَّمَا مَفاتِيحُهُ البِيضُ الخِفافُ الصَّوَارِمُ[(٥)]

= جانب، حتى كان الرَّدى نائمًا عنكَ وأنتَ قائم في جَفْنه؛ لإحاطته بكَ، وقد آثَرَ لفظةَ «نائم»؛ لدَلالتها على سلامته؛ لأن الرَّدى لو كان مُستيقِظًا لأدرَكَه وقتَلَه.

(١) **يقولُ**: وقفتَ وكانت الأبطال تمُرُّ بكَ، وهي مجروحةٌ منهزمةٌ عابسةُ الوجوه، وأنتَ مُشرِق الوجه ضاحكُ السن، لم تُداخِلْكَ حَيْرةٌ لانهزام أصحابكَ، ومعرفتكَ بوجه الأمر في تلك الحالة.

(٢) **الغرض بالبيت**: أن الشجاع يثبُتُ ما دام يطمَعُ في الظَّفَر ويَرْجو النصر، وكذلك العاقلُ الحازمُ يقِفُ متى رأى مخايِلَ النصر وأمارات الظَّفَر، فإذا اشتَدَّ الأمرُ وأيقَنَ كلُّ واحد بالموت طلَبَ النجاة بالفرار، وسيف الدولة تجاوَزَ هذه المنزلةَ، فهو يقِفُ في المواقف التي لا يشكُّ الحازمُ والشجاعُ في الهلاك فيها، كأنه عالمٌ بالغيب وعواقب الأمور.

وقوله: إلى قول قوم: يعني: أن الناس لَمَّا رأَوْا مَقامَه وثباتَه في المواطن التي لا يشكُّ أحدٌ فيها بالقَتل قالوا: إنه عالمٌ بالغيب! ولولا ذلك لم يقِفْ، وقد فرَّ كل شجاع.

(٣) **يقولُ**: حملْتَ على الميمنة والميسرة فضممتَهما على القلب ورددتَهما إليه، حتى سقط بعضُهم على بعض. جعل الميمنةَ والميسرةَ جَناحَين، وشبَّهَ الأبطال المقدِمين بقوادم الجناح، والأتباعَ والحشوَ بالخوافي.

(٤) تركتَ الطعنَ بالرماح، ورجعتَ إلى الضرب بالسيوف، حتى كأنكَ حقرتَ الرماح وعدلتَ عنها إلى السيوف؛ لأنها أنْكى في العدو، وكأنَّ السيفَ رأى عجزَ الرماح وقلةَ غنائها فشتَمَها وعابَها.

(٥) البِيضُ، الخِفافُ، الصَّوارمُ كلُّها صفاتٌ للسيوف.

يقولُ: مَن أراد الوصولَ إلى الفتوح العظيمة، فإنما يصِل إليها بالسيوف، ولَمَّا جعل =

نَـثَـرْتَـهُـمُ فَـوْقَ الأُحَـيْـدِبِ كُـلِّـهِ كَمَا نُثِرَتْ فَوْقَ العَرُوسِ الدَّراهِمُ(١)

تَدوسُ بكَ الخَيْلُ الوُكورَ على الذُّرَى وَقد كَثُرَتْ حَوْلَ الوُكورِ المَطاعِمُ(٢)

تَـظُـنُّ فِـراخُ الـفُـتْـخِ أنَّـكَ زُرْتَـهَـا بأُمَّاتِها وَهْيَ العِتاقُ الصَّلادِمُ(٣)

إذا زَلِـقَـتْ مَـشَّـيْـتَـهـا بـبُـطـونِـهَـا كَمَا تَتَمَشَّى في الصَّعيدِ الأراقِمُ(٤)

أفـي كُـلِّ يَـوْمٍ ذا الـدُّمُـسْـتُـقُ مُـقـدِمٌ قَفَاهُ عَلى الإقْدامِ للوَجْهِ لائِمُ(٥)

أيُـنـكِـرُ رِيـحَ الـلَّـيْـثِ حـتَّـى يَـذُوقَـهُ وَقد عَرَفَتْ رِيحَ اللُّيوثِ البَهَائِمُ(٦)

= المطلوبَ فتحًا جعلَ السيوفَ مفاتيحَه؛ لأن بها يوصلُ إلى ما وراء الباب من المقاصد.

(١) **يقولُ**: إنكَ قتلتَهم في كل موضِعٍ من هذا الجبل، ونثرتَهم عليه كما تُنثَرُ الدراهمُ فوق العروس.

(٢) **يقولُ**: صعِدتَ على رؤوس الجبال إليهم فقتلتَهم هناك، حتى كثُرت المطاعمُ للطيور في رؤوس الجبال، وكانت الخيلُ تطأُ وُكورَ الطير التي في الجبال وحولَها القَتلى مطروحة. وقوله تدوس بكَ أي: تطأ وأنتَ عليها.

(٣) **الفُتْخُ**: العِقْبانُ، والواحد أفتَخُ، وفَتْخاءُ، وهي عِتاقُ الطير كالبازي والعُقاب؛ سُمِّيَت بذلك للِين أجنحتها وانعطافِها، والأُمَّات: جمعُ الأُمِّ، فيما لا يعقِل، وفيمَن يعقِل: أمَّهات، والمراد بالعِتاق: الخيلُ الكرامُ، والصَّلادِم: جمعُ صِلْدِم، وهو الفرسُ الصُّلبُ الشديدُ.
يقولُ: لَمَّا صهَلت الخيلُ ظنَّت فراخُ النسور أنكَ زُرتهنَّ بأمهاتهنَّ؛ لأنَّ خيلَكَ كالعِقْبان في السرعة والشدَّة والضُّمور، وقيل: لاشْتِباه أصوات الخيل بها في بعض الأوقات.

(٤) **يقولُ**: إذا زلِقت الخيلُ من رؤوس الجبال؛ لمَلاسَتها وقلَّة استقرار قوائمها عليها، انسابَت فيها على بُطونها كما تَنْساب الحيَّات في الأرض والتراب.

(٥) **يقولُ**: كم من يومٍ أقبَلَ فيه الدُّمستُقُ عليكَ يريد حربَكَ وهزيمتَكَ، ثم ينهزمُ من بيْنِ يديكَ، فيلومُ قَفاهُ وجهَه فيقولُ: إلى كم تُعرِّضُني للجراحة ولا تكتفي بما تقدَّم من الانهزام؟!

(٦) **يقولُ**: إن الدُّمستُقُ ما يزالُ يتعرَّض لكَ حتى تقتُلَه أو تأسِرَه، ولو كان له عقلٌ؛ لكفاهُ =

مَضَى يَشكُرُ الأصْحَابَ في فَوْتِه الظُّبَى ... لِمَا شَغَلَتْهَا هامُهُمْ وَالمَعاصِمُ[(١)]

وَيَفْهَمُ صَوْتَ المَشرَفِيَّةِ فيهِمِ ... على أنَّ أصْواتَ السُّيوفِ أعَاجِمُ[(٢)]

يُسَرُّ بمَا أعْطاكَ لا عَنْ جَهَالَةٍ ... وَلكِنَّ مَغْنُومًا نَجا مِنكَ غانِمُ[(٣)]

وَلَسْتَ مَليكًا هازِمًا لِنَظِيرِهِ ... وَلَكِنَّكَ التَّوْحيدُ للشِّرْكِ هَازِمُ

تَشَرَّفُ عَدْنانٌ بهِ لا رَبيعَةٌ ... وَتَفْتَخِرُ الدُّنْيا بهِ لَا العَوَاصِمُ[(٤)]

لَكَ الحَمدُ في الدُّرِّ الَّذي ليَ لَفظُهُ ... فإنَّكَ مُعْطيهِ وَإنِّيَ نَاظِمُ[(٥)]

وَإنِّي لَتَعْدو بي عَطَايَاكَ في الوَغَى ... فَلا أنَا مَذْمُومٌ وَلا أنْتَ نَادِمُ[(٦)]

ألَا أيُّها السَّيفُ الَّذي لَيسَ مُغمَدًا ... وَلا فيهِ مُرْتابٌ وَلا منْهُ عَاصِمُ[(٧)]

= ما رأى من شجاعتكَ وهزمكَ إيَّاه، والبهائم أعقَلُ منه، لأنها تعرِف ريحَ اللَّيث من بعيد فتتباعَد عنه.

(١) **يقولُ**: مضى الدُّمستُقُ هاربًا، وهو يشكُرُ أصحابَه حيث شغَلوا المسلمين عنه؛ بأن مكَّنوهم من قَتْلهم، واستغنَتِ السيوف برؤوسهم ومعاصِمهم، فكان سبب نَجاته ذلك.

(٢) **يقولُ**: كان الدُّمستُقُ إذا سمِع صليلَ السيوف في أصحابه عرَف ما تفعلُه، وإنْ لم يكنْ لها ألسنةٌ.

(٣) **يقولُ**: إن الدُّمستُقَ يُسَرُّ بما سلَّم إليكَ من أصحابه وأمواله؛ لسلامته منكَ؛ لأن المغنومَ إذا نجا منكَ كان غانمًا.

(٤) **يقولُ**: إن جميعَ العرب تتشرَّف به، لا قبيلته وَحدَهم، وكذلك الدُّنيا كلها تفتخِر به، لا العواصمُ التي هي ممالِكُه.

(٥) يعني بالدرِّ شِعرَه، يقولُ: المعاني لكَ واللفظُ لي، فأنتَ تُعْطينيه وأنا أَنظِمُه.

(٦) إنكَ أعْطَيْتَني في عطاياك الخيل، وهي تَعْدو بي في الحرب، وأُقاتل بها بيْنَ يديكَ، فلستُ أنا مذمومًا بهذا الشكر وذِكْر عطاياك الكريمة، ولا أنتَ نادمٌ على ما فعلتَ من اتصال شُكري.

(٧) **يقولُ**: لستَ كسائر السيوف في أنها تُغمَد مرةً وتُصلَت أخرى، بل أنتَ مجرَّدٌ أبدًا، =

هَنيئًا لضَرْبِ الهَامِ وَالمَجْدِ وَالعُلَى ... وَرَاجِيكَ وَالإسْلامِ أَنَّكَ سالِمُ[(١)]

وَلِمْ لا يَقي الرَّحْمَنُ حدَّيْكَ ما وَقَى ... وَتَفْليقُهُ هَامَ العِدَى بكَ دائِمُ[(٢)]



= تنصُرُ الدولة وتذُبُّ عنها، وتُحامي دونَها، ولا يشكُّ أحدٌ في أنكَ بهذه الصفة، ومَن طلبتَه لم يعصمه منكَ عاصمٌ، ولم يمنَعْه مانعٌ.

(١) **يقولُ**: هنيئًا لهذه الأشياء سلامتكَ؛ لأن سلامتَها بكَ، وبقاؤها ببقائكَ؛ لأنكَّ تُحامي دونها، وتذُبُّ عنها.

(٢) **يقولُ**: أنتَ سيفٌ ماضٍ، تنصُر الإسلامَ ودينَ الله، وتضرِبُ رؤوسَ أعداء الله تعالى، فكيف لا يَقيكَ اللهُ تعالى كلَّ مكروه؟ ولا يدفعُ عن حدَّيكَ كلَّ محذور. ولَمَّا جعله سيفًا جعلَ له حدَّين.

٧ ـ قَصيدَتُه التي يَمدَحُ فيها سَيفَ الدَّوْلةِ، مُنصَرَفَه من بِلادِ الرُّومِ سنةَ: ٣٤٥، (ص٢٦٥):

الرَّأْيُ قَبلَ شَجاعةِ الشُّجْعانِ ... هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ المَحَلُّ الثَّاني(١)

فَإذا هُما اجتَمَعا لِنَفْسٍ مِرَّةٍ(٢) ... بَلَغَتْ مِنَ العَلْياءِ كُلَّ مَكانِ

وَلَرُبَّما طَعَنَ الفَتى أَقْرانَهُ ... بِالرَّأْيِ قَبلَ تَطاعُنِ الأَقْرانِ

لَولا العُقولُ لَكانَ أَدْنى ضَيْغَمٍ ... أَدْنى إِلى شَرَفٍ مِنَ الإِنْسانِ

وَلَما تَفاضَلَتِ النُّفوسُ وَدَبَّرَتْ ... أَيْدي الكُماةِ عَوالِيَ المُرَّانِ(٣)

لَولا سَمِيُّ سُيوفِهِ وَمَضاؤُهُ ... لَمَّا سُلِلْنَ لَكُنَّ كَالأَجْفانِ(٤)

خاضَ الحِمامَ بِهِنَّ حَتَّى ما دُري ... أَمِنِ احْتِقارٍ ذاكَ أَمْ نِسْيانِ(٥)

وَسَعى فَقَصَّرَ عَن مَداهُ في العُلا ... أَهْلُ الزَّمانِ وَأَهْلُ كُلِّ زَمانِ

---

(١) أي: العقلُ مقدَّم على الشجاعة؛ فإن الشجاعة إذا لم تصدُرْ عن عقلٍ أتتْ على صاحبها فأهلكَتْه، وتُسَمَّى خُرْقًا، والمعنى: أن العقلَ في ترتيب المناقِب هو الأولُ، ثم الشجاعة ثانٍ له.

(٢) وفي نُسَخٍ أخرى: حُرَّة، وهما مُتقارِبان في المعنى.

(٣) **يقولُ**: إنما تتفاضَلُ نفوس الحيوان بالعقل، فالآدَمي أفضلُ من البهيمة لعقله، ثم بنو آدَم يتفاضَلون أيضًا بالعقل. ولولا ذلك لَما عرَف الشُّجْعان استخدامَ الرماح في الطعن والقتال. يريد أن الشجاعةَ إنما تُستعمَلُ بالعقل.

(٤) **أي**: لولا سيفُ الدولة ما أغنَتِ السيوف شيئًا، ولكانت في الضعف والخفَّة كالأجْفان؛ لأن السيف إنما يعمَلُ بالضارِبِ.

(٥) **أي**: خاضَ الموتَ بسيوفه حتى أنَّنا لا نَدْري: هل ذاك الخَوْضُ من احتقار للموت، أم نسيانٍ للموت وغفلة عنه؟.

تَخِذوا المَجالِسَ في البُيوتِ وَعِندَهُ أَنَّ السُروجَ مَجالِسُ الفِتْيانِ

وَتَوَهَّموا اللَّعِبَ الوَغى وَالطَعنُ في الـ ـهَيْجاءِ غَيرُ الطَّعنِ في المَيدانِ

قادَ الجِيادَ إِلى الطِّعانِ وَلَم يَقُدْ إِلَّا إِلى العاداتِ وَالأَوْطانِ(١)

في جَحْفَلٍ سَتَرَ العُيونَ غُبارُهُ فَكَأَنَّما يُبْصِرْنَ بِالآذانِ(٢)

يَرْمي بِها البَلَدَ البَعيدَ مُظَفَّرٌ(٣) كُلُّ البَعيدِ لَهُ قَريبٌ دانِ

رَكَضَ الأَميرُ وَكَاللُّجَينِ حَبابُهُ وَثَنى الأَعِنَّةَ وَهوَ كَالعِقْيانِ(٤)

فَتَلَ الحِبالَ مِنَ الغَدائِرِ فَوقَهُ وَبَنى السَّفينَ لَهُ مِنَ الصُّلْبانِ(٥)

وَحَشاهُ عادِيَةً بِغَيرِ قَوائِمٍ عُقْمَ البُطونِ حَوالِكَ الأَلْوانِ(٦)

بَحرٌ تَعَوَّدَ أَنْ يُذِمَّ لِأَهْلِهِ مِن دَهرِهِ وَطَوارِقِ الحَدَثانِ(٧)

---

(١) **يقولُ**: إذا قاد خيلَه إلى الطِّعان، فإنما قادَها إلى عادتها التي اعتادَتْها وألِفَتْها معَه؛ لكثرة فِعله ذلك بها، وهذه المنازل لطول ما نزَلَ بها كالأوْطان التي يتردَّدُ عليها.

(٢) **أي**: في جيشٍ عظيم غبارُه كثيفٌ يستُرُ الأعيُنَ، حتى لا تُرى فيه الخَيلُ، مع صِدق حاسَّة نظَرِها، وإذا أحسَّت بشيء نصَبَت آذانها كأنها بها تُبصِر.

(٣) **أي**: سيف الدولة.

(٤) **يقولُ**: ركضتْ خيلُه إلى الروم، والماء أبيضُ كالفضة، فلما قتلَهم وجرتْ فيهم دماؤهم؛ عاد وقدِ احمرَّ كالذهب.

(٥) **يقولُ**: اتخذَ حبالَ سفنه من ذوائب مَن قتَلَه، واتخذَ خشبَها من عود الصُّلْبان؛ لكثرة ما غنِم منها.

(٦) **أي**: حشا الماء سفنًا تَعْدو ولا قوائمَ لها، بطونُها عُقمٌ لا تلِد، وهي سود الألوان؛ لأنها مُقَيَّرة.

(٧) هذا الماء الذي عبَرَه سيفُ الدولة بحرٌ تعوَّد أن يجعل مَن وراءَه في ذمَّته، فلا يصل إليهم أحدٌ، وهو في جِواره من الدهر وحوادثه.

فَـتَـرَكْـتَـهُ وَإِذا أَذَمَّ مِـنَ الـوَرى ... راعـاكَ وَاستَثْنى بَني حَمْدانِ[١]

الـمُـخْـفِـريـنَ بِـكُـلِّ أَبـيَـضَ صارِمٍ ... ذِمَمَ الدُّروعِ عَلى ذَوي التِّيجانِ[٢]

مُتَصَعلِكينَ عَلى كَثافَةِ مُلكِهِم ... مُتَواضِعينَ عَلى عَظيمِ الشَّانِ[٣]

وَعَلى الدُّروبِ وَفي الرُّجوعِ غَضاضَةٌ ... وَالسَّيرُ مُمتَنِعٌ مِنَ الإِمْكانِ[٤]

وَالطُّرْقُ ضَيِّقَةُ المَسالِكِ بِالقَنا ... وَالكُفرُ مُجتَمِعٌ عَلى الإيمانِ[٥]

نَظَروا إِلى زُبَرِ الحَديدِ كَأَنَّما ... يَصعَدْنَ بَيْنَ مَناكِبِ العِقْبانِ[٦]

---

(١) **يقولُ**: تركتَ هذا النهر بعبورِكَ إيَّاه يُجير أهلَه من كل أحد إلا من بني حَمْدان؛ فإنه لا يُجيرهم منكَ، يعني: أن غيرَكَ لا يقدِرُ على عبوره.

(٢) **أي**: الذين ينقُضون عهودَ الدروع على الملوك بسيوفهم؛ وذلك أنهم تحصَّنوا بالدروع فكأنَّهم في ذِمَمها، ثم سيوف هؤلاء تنقُض تلك الذِّمَمَ بهَتْك دروعهم، والوصول إلى أرواحهم. والمُخْفِر الذي ينقُض العهدَ.

(٣) **التصعلُك**: التشبُّهُ بالصعاليك، وهُمُ المتلصِّصون الذين لا مالَ لهم، يقولُ: هُمْ على عِظَم مُلكهم كالصعاليك؛ لكثرة أسفارهم وغاراتهم، وهُم مع عِظَم شأنهم يتواضَعون تقرُّبًا من الناس.

(٤) **الدروب**: جبالُ الروم، وطرقُها. والغضاضةُ: الذلُّ والقهرُ. والتقدير: وعلى الدروب غضاضةٌ، وفي الرجوع غضاضةٌ.

يقولُ: قهرتَهم في حالةٍ صعبةٍ على المسلمين؛ وذلك حيث لم يمكنْهم المُقامُ على الدروب، ولا الرجوعُ عنها، وكان السيرُ ممتنِعًا، فدخلتْ عليكَ الغضاضةُ لذلك.

(٥) **يقولُ**: إن الطرُقَ كانت قد ضاقتْ برماح الروم، وكان الكفرُ مجتمِعًا على الإيمان في تلك الحال، فأذللْتَ الكفرَ ونصرْتَ الإسلامَ.

(٦) **يقولُ**: نظر الرومُ إلى قِطَع الحديد على الخيل، فكأن هذه القِطَع عليها بيْنَ مناكب العِقْبان.

شبَّه الخيلَ بالعِقْبان في سُرعتها، والدروع التي على الفُرْسان والبِيض وغيرها، كأنها علَتْ العِقْبان وصعِدت بيْنَ مناكِبها.

وَفَوارِسٍ يُحْيِي الحِمامُ نُفوسَها ... فَكَأَنَّها لَيسَتْ مِنَ الحَيَوانِ(١)

ما زِلْتَ تَضرِبُهُمْ دِراكًا في الذُّرى ... ضَربًا كَأَنَّ السَّيفَ فيهِ اثْنانِ(٢)

خَصَّ الجَماجِمَ وَالوُجوهَ كَأَنَّما ... جاءَتْ إِلَيكَ جُسومُهُمْ بِأَمانِ

فَرَمَوْا بِما يَرْمونَ عَنهُ وَأَدْبَروا ... يَطَؤُونَ كُلَّ حَنِيَّةٍ مِرْنانِ(٣)

يَغْشاهُمُ مَطَرُ السَّحابِ مُفَصَّلًا ... بِمُثَقَّفٍ وَمُهَنَّدٍ وَسِنانِ(٤)

حُرِموا الَّذي أَمِلوا وَأَدرَكَ مِنهُمُ ... آمالَهُ مَن عادَ بِالحِرْمانِ(٥)

---

(١) **يقولُ**: نَظَروا إلى فوارس يَعُدُّونَ الموتَ في الحرب حياةً؛ لبقاء الذِّكْر، حتى كأنهم ليسوا من الحيوان؛ لأن الحيوان إذا مات يُنْسى.

(٢) **في الذُّرى**: أي: رؤوس القوم، أو رؤوس الجبال. دراكًا: أي: تِباعًا.
يقولُ: ما زلتَ تَضرِبُهم ضربًا في إثْر ضَرْب، مُتواليًا من دون أن يتخلَّلها زمنٌ، فكأنَّكَ تضربهم بسيفَين.
وقيل: ما زلْتَ تضربهم ضربةً تعمَلُ عملَ ضربَتَين. يعني: كأن السيف الواحد سيفانِ، والهاء في فيه راجعٌ إلى الضرب.

(٣) **يطؤون**: من الوَطْء بالرِّجْل، والحَنيَّة: القوسُ. والمِرْنانُ: الكثيرُ الرَّنَّة. وما يَرْمون عنه: هو القِسيُّ التي كانوا يَرْمون عنها.
يقولُ: رمَوْا قِسيَّهم وانهزموا يطؤون قسيَّهم المطويَّة عند الرمي.

(٤) **قيل**: أراد بالمطر: المطرَ الحقيقيَّ. والمعنى: أصابهم المطرُ النازلُ من السحاب، مُفصَّلًا بالسيوف والرماح، كما يُفصَّلُ العقدُ بالدرِّ والذهب.
يعني: كما هزمهم السلاحُ هزمهم أيضًا المطرُ.
وقال ابن جِنِّي: أراد بالسحاب: جيشَ سيف الدولة. شبَّهَه بالسحاب لكثافته، ولَمَّا جعله سحابًا جعَلَ مطرَه الرماحَ والسيوفَ.

(٥) **يقولُ**: حُرِموا ما كانوا يؤمِّلونه من الظَّفَر بكَ، وانهزموا، فَمَن كان منهم محرومًا من أمله الأوَّل أدرك أملَه الثانيَ، من العود إلى أهله، والسلامة من القتل والأسْرِ، وهذا مثلُ قولهم: مَن نجا برأسه؛ فقد ربِحَ.

وَإِذا الرِّماحُ شَغَلْنَ مُهْجةَ ثائِرٍ شَغَلَتْهُ مُهْجَتُهُ عَنِ الإِخْوانِ[(١)]

هَيْهاتَ عاقَ عَنِ العِوادِ قَواضِبٌ كَثُرَ القَتيلُ بِها وَقَلَّ العَاني[(٢)]

وَمُهَذَّبٌ أَمَرَ المَنايا فيهِمُ فَأَطَعْنَهُ في طاعَةِ الرَّحْمَنِ[(٣)]

قَد سَوَّدَتْ شَجَرَ الجِبالِ شُعورُهُمْ فَكَأَنَّ فيهِ مُسِفَّةَ الغِرْبانِ[(٤)]

وَجَرى عَلى الوَرَقِ النَّجيعُ القَاني فَكَأَنَّهُ النَّارَنْجُ في الأَغْصانِ[(٥)]

---

(١) **يقولُ**: إنهم جاؤوا يطلُبون بثأر مَن قتلتَ منهم، فلما وقعتِ الرماحُ في قلوبهم اشتغلوا بأنفسهم، ونَسوا إخوانَهم الذين يطلُبون ثأرَهم.

(٢) **العواد**: الرجوعُ، والعاني: الأسيرُ. والمعنى أنه منَعَهم عن الرجوع وأخْذ الثأر بعد ذلك تلك السيوفُ القواضِبُ التي أُعمِلَت في القتل، حتى ندَرَ استبقاءُ العدوِّ حيًّا لأَسْرِه.

(٣) **ومهذب**: هو سيفُ الدولة، عطفٌ على قواضِب.

يقولُ: منَعَهم عن الرجوع إلى مقاتِلة سيف الدولة رَجلٌ مهذَّب صَفي من كل عيب، أمَرَ الموتَ بقبض أرواحهم فأطاعه الموتُ في طاعة الله تعالى؛ لأن قتلَهم طاعةٌ، وفيه رضا الله تعالى.

(٤) الهاء في فيه للشجر. والمُسِفَّةُ: الدانيةُ من الأرض.

يقولُ: إن شعورَهم سوَّدَت أشجارَ الجبال؛ لأنها متعلِّقةٌ بها، فكأنَّها غِرْبانٌ دانيةٌ من الأرض واقفةٌ على الأشجار.

(٥) **يقولُ**: جرى دمُهم على الأوراق، فأشبَهَ الدمُ عليها النَّارَنْجَ ـ وهو اللَّيمونُ ـ على الأغصان.

والمعنى: أن الشعور تعلَّقت بالشجرة فأشبهَتِ الغِرْبانَ على الأشجار، والدماءُ تطايرَتْ فخضَّبَتْ ورَقَ الأغصانِ.

وهذا البيت فيه مَلْحَظانِ:

١ ـ فيه نوعٌ من التكلُّف في التشبيه، قال في المَثَل السائر: ومن التشبيهات الباردة قولُ أبي الطيِّب المتَنَبِّي. . ثم ساق البيتَ وقال: وهذا تشبيهٌ يُنكِرُه أهلُ التجسيم، وإذا قُسِّمتِ التشبيهاتُ بيْنَ البعد والبرد حازَ طرفَيْ ذلك التقسيم. [المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر؛ لأبي الفتح ضياء الدين ابن الأثير: ١/ ٤٠٢].

=

إنَّ السُّيوفَ مَعَ الَّذينَ قُلوبُهُمْ كَقُلوبِهِنَّ إذا الْتَقى الجَمْعانِ(١)
تَلْقى الحُسامَ عَلى جَراءَةِ حَدِّهِ مِثلَ الجَبانِ بِكَفِّ كُلِّ جَبَانِ(٢)
رَفَعَتْ بِكَ العَرَبُ العِمادَ وَصَيَّرَتْ قِمَمَ المُلوكِ مَواقِدَ النِّيرانِ(٣)
أَنْسابُ فَخرِهِمُ إِلَيكَ وَإِنَّما أَنْسابُ أَصلِهِمُ إِلى عَدْنانِ(٤)
يا مَن يُقَتِّلُ مَن أَرادَ بِسَيفِهِ أَصبَحتُ مِن قَتْلاكَ بِالإِحْسانِ
فَإِذا رَأَيْتُكَ حارَ دونَكَ ناظِري وَإِذا مَدَحْتُكَ حارَ فيكَ لِساني



= ٢ ـ في صدره اخْتِلالٌ عن بقيَّة أبيات القصيدة، وهذا ما لا يُحمَدُ، فالقصيدةُ من الكامل، وتفعيلتُها:

مُتَفاعلن مُتَفاعلن مُتَفاعلن مُتَفاعلن مُتَفاعلن مُتَفاعلن

ونلاحِظُ هنا أنَّه أخَّر صدرَ البيت: مُتْفاعلْ (بإسْكان التاء)، وهذا ما لا يجوز في الكامل إلَّا في مجزوئه، وإنما يجوزُ في غير المجزوء ثلاثةُ أوجه: مُتَفاعلن، مُتْفاعلن، مُتَفاعل (بفتح التاء).

(١) **يقولُ**: إن السيوف، إنما تعمَلُ إذا كانت مع الشُّجعان الذين قلوبُهم في الإقدام والجُرأة والشجاعة كقلوب هذه السيوف عند اجتماع الجيشين.

(٢) **يقولُ**: ترى السيفَ على جَراءة حدِّه وقوَّته في كفِّ الجَبانِ جَبانًا لا يقطَعُ ولا يقتُلُ. وهذا البيت تكْمِلةٌ وشرحٌ للبيت الذي قبلَه.

(٣) **العماد**: عمادُ البيت، ويُعَبَّر به عن الشرف؛ لأن الرجل إذا كان شريفًا؛ كان عمادُ بيته رَفيعًا. ومنه يُقال في المدح: هو رفيعُ العماد، أي: شريفٌ كثيرُ الرماد. والقِمَم: جمعُ قِمَّة، وهي وَسَطُ الرَّأس.

يقولُ: إن العرب تشرَّفت بكَ، وقتلْتَ الملوك فجعلوا هامَهم أثافيَ لقُدورهم.

(٤) **يقولُ**: العربُ تنتسبُ إليكَ من حيث الفخرُ، وتنتسبُ إلى عَدنانَ من جهة النَّسَب: فكما أنَّ عَدنانَ أصلُ نَسَبها، فإنَّكَ أصلُ فَخرِها وشَرَفِها.

٨ ـ قَصيدَتُه الَّتي يَمدَحُ فيها الأسْوَدَ كافورًا الإخْشيديَّ سنةَ ٣٤٦، وقد خرَجَ من عندِ الأميرِ سَيفِ الدَّولةِ مُغاضِبًا إلى مِصرَ، وهي أوَّلُ قَصيدةٍ قالَها في كافورٍ، (ص٢٨٤):

كَفى بكَ داءً أنْ ترَى المَوْتَ شافِيًا ... وَحَسْبُ الْمَنَايَا أنْ يكُنَّ أمَانِيَا[(١)]

تَمَنَّيْتَهَا لَمَّا تَمَنَّيْتَ أنْ تَرَى ... صَديقًا فأعْيَا أوْ عَدُوًّا مُداجِيَا[(٢)]

إذا كنْتَ تَرْضَى أنْ تَعيشَ بذِلَّةٍ ... فَلا تَسْتَعِدَّنَّ الحُسامَ اليَمَانِيَا[(٣)]

وَلا تَسْتَطيلَنَّ الرِّماحَ لِغَارَةٍ ... وَلا تَستَجيدَنَّ العِتاقَ الْمَذاكِيَا[(٤)]

فما يَنفَعُ الأُسْدَ الحَياءُ منَ الطَّوَى ... وَلا تُتَّقَى حتَّى تَكونَ ضَوَارِيَا[(٥)]

---

(١) الباء في بكَ زائدةٌ، والتقدير: كفاكَ داءً.
يقولُ: كفاكَ من الداء وأذيَّة الزمان ما تَستَشفي منه بالموت، وما تتمَنَّى معه الموتَ؛ إذ الموتُ غايةُ الشدائد، فإذا تمنَّاه المرءُ؛ فقد تَمَنَّى كلَّ شدَّة.

(٢) **يقولُ**: تمنيْتَ الموتَ لَمَّا تمنيْتَ أنْ ترى صديقًا مخلِصًا في صداقته، أو عدوًّا مُساترًا للعداوة فأعْيى عليكَ وجودُ ذلك.

(٣) **يقولُ**: إذا رضيتَ بالذل، وصبرتَ على الضَّيْم، فلا معنى لاستعداد السيف؛ لأن السيفَ يُراد لدَفْع الضَّيْم.

(٤) لا تَستَطيلنَّ، أي: لا تطلُبْ طولَها، وكذلك لا تَستَجيدنَّ، أي: لا تطلُبْ جودَها.
يقولُ: إذا رضيتَ بالذلِّ فلا تطلُبْ الرمحَ الطويلَ، والخيلَ الجيادَ؛ فإنَّكَ لا تحتاج إليها بعد أن رضيتَ بالذلِّ واحتمال الضَّيْم.

(٥) **يقولُ**: إن الحياءَ لا ينفَعُ الأسدَ من الجوع ولا يُشبِعه، ولا يُخشى منه إلا إذا كان ضاريًا جريئًا.
يعني: أنَّ الإنسانَ إنما يبلُغُ مرادَه إذا اطَّرح قناعَ الحياءِ عن وجهه، واتَّكَل على إقْدامه.

حَبَبْتُكَ قَلْبي قَبلَ حُبِّكَ مَن نَأَى ... وَقدْ كانَ غَدَّارًا فكُنْ أنتَ وَافِيَا[١]

وَأعْلَمُ أنَّ البَيْنَ يُشْكيكَ بَعْدَهُ ... فَلَسْتَ فُؤادي إنْ رَأيْتُكَ شَاكِيَا[٢]

فإنَّ دُمُوعَ العَيْنِ غُدْرٌ بِرَبِّهَا ... إذا كُنَّ إثْرَ الغَادِرِينَ جَوَارِيَا[٣]

إذا الجُودُ لم يُرْزَقْ خَلاصًا منَ الأذَى ... فَلا الحَمْدُ مَكْسوبًا وَلا المالُ باقِيَا[٤]

وَللنَّفْسِ أخْلاقٌ تَدُلُّ على الفَتَى ... أكانَ سَخاءً ما أتَى أمْ تَسَاخِيَا[٥]

أقِلَّ اشْتِياقًا أيُّهَا القَلْبُ رُبَّمَا ... رَأيْتُكَ تُصْفي الوُدَّ مَن ليسَ صافيَا[٦]

---

(١) **حَبَبْتُه وأحبَبْتُه**: لُغتانِ: وقلبي مُنادًى، أي: يا قلبي.

يقولُ: يا قلبي أحببتُكَ قبلَ أن تحبَّ الحبيبَ الذي نأى عنكَ وغدرَ بكَ، فأنكرتَ غَدرَه، فلا تصنَعْ معي من الغدرِ مثلَ ما صنَعَ بكَ حبيبُكَ، فتكون قد فعلْتَ ما كَرِهْتَه من غيرِكَ.

وجعلَ حنينَ قلبه إلى الحبيب غدرًا منه؛ لأنه يُؤْلِمُه ويؤدِّي إلى تَلَفه، فتقع المفارَقةُ بيْنَه وبيْنَ قلبه! وهي التي ذاقَها من حبيبه. وهذا تعريضٌ منه بسيف الدولة.

(٢) **يقولُ**: يا قلبي، أعلَمُ أن البَيْنَ يُحوِجُكَ إلى الشكوى، ويؤثِّرُ فيكَ، وإن فعلْتَ ذلك تبرَّأْتُ منكَ، ونفيْتُ أن تكونَ قلبي؛ لأنك غدرْتَ بي.

(٣) **يقولُ**: إنَّ بكاءَكَ على مَن غدَرَ بكَ وفارَقَكَ غدرٌ منكَ بي، وهذا إشارةٌ إلى شِكاية سيف الدولة.

(٤) شبَّه (لا) بـ(ليس) في نَصْب الخبر؛ فلهذا نصَبَ مَكسوبًا وباقيًا.

يقولُ: إذا لم يكُنِ الجودُ خالِصًا من الأذى، وما يُكدِّره منَ المنِّ والتَّكْدير، فلم يكسِبْ فاعلُه حَمدًا، وذهَبَ مالُه هدرًا. وهذا تعريضٌ بسيف الدولة.

(٥) **يقولُ**: لكل إنسانٍ أخلاقٌ يستدِلُّ بها على ما يأْتيه من الجود، هل هو طبيعيٌّ أو تكلُّفيٌّ؟ فيعرف حالَه.

(٦) **يقول لقلبه**: قلِّل الاشتياقَ إلى مَن لا يَشتاقُ إليكَ؛ فإنَّكَ تُخلِصُ المودَّةَ لمَن لا يُجازيكَ على ذلك، ولا يودُّكَ مثلَ ما تودُّه، وهذه الأبيات تعريضٌ بسيف الدولة، وتطييبٌ لنفْسِه على فِراقه.

خُلِقْتُ أُلُوفًا لَوْ رَجعْتُ إلى الصِّبَا　　لَفارَقْتُ شَيْبي مُوجَعَ القَلْبِ باكِيَا[١]

وَلَكِنَّ بالفُسْطاطِ بَحْرًا أَزَرْتُهُ　　حَيَاتي وَنُصْحي وَالهَوَى وَالقَوَافِيَا[٢]

وَجُرْدًا مَدَدْنَا بَيْنَ آذانِهَا القَنَا　　فَبِتْنَ خِفَافًا يَتَّبِعْنَ العَوَالِيَا[٣]

تُجاذِبُ فُرْسانَ الصَّباحِ أعِنَّةً　　كأنَّ على الأعْناقِ منْهَا أفَاعِيَا[٤]

بعَزْمٍ يَسيرُ الجِسْمُ في السَّرْجِ راكبًا　　بهِ وَيَسيرُ القَلبُ في الجِسْمِ ماشِيَا[٥]

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوارِكَ غَيرِهِ　　وَمَنْ قَصَدَ البَحرَ استَقَلَّ السَّوَاقِيَا

فَجاءَتْ بِنَا إنْسانَ عَينِ زَمانِهِ　　وَخَلَّتْ بَيَاضًا خَلْفَهَا وَمَآقِيَا[٦]

---

(١) **يقولُ**: جُبِلْتُ على الإلْفِ، حتى إنَّني لشدَّة إلْفي، لو فارقتُ الشيبَ الذي هو مكروهٌ عندَ كلِّ أحدٍ ورجعتُ إلى أيام الصِّبا؛ لبكيْتُ جَزعًا على الشَّيبِ من فراقِ المألُوفِ، فلهذا أحِنُّ إلى سيف الدولة، وإنْ كان يَقصِدُني بالأذى.

(٢) **الفُسطاطُ**: مدينةُ مصر التي بناها عَمْرو بن العاص ﵁، فأما مصرُ القديمة فهي في الجانب الآخَر من النيل، وليس بها اليومَ إلا دورٌ قليلةٌ.
المعنى: أني فارقتُ سيف الدولة مع إلْفي له وأسَفي على فراقه؛ لأزورَ كافورًا الذي هو كالبحر: في الجود وسَعة الصدر، وبُعْد الغَوْر.

(٣) يذكُرُ المتنَبِّي الرِّحلةَ إلى كافور، فيذكُرُ أنه سافرَ إليه راكبًا خيلًا قليلةَ الشَّعر، وقد مدَّ الرمحَ بيْنَ آذانها لتتبعَ إشارتَه.

(٤) **إنما قال**: فُرسان الصباح؛ لأن الغاراتِ أكثَرُ ما تكون في وقت السَّحَر، وشبَّهَ الأعنَّةَ للِينِها ودقَّتِها بالأفاعي.
يقولُ: إن الخيل لا تتركُ الأعنَّةَ تستقرُّ في أيدي فُرْسانها؛ لِمَا فيها من المرَح والنشاط، فكأن الأعنَّةَ أفاعٍ على أعناقها، فهي تُجاذبها الفوارس.

(٥) **الباء**: متعلِّقٌ بقوله: أزَرْتُه يعني: زُرتُه بعزم.
يقولُ: قصدْتُه بعزمٍ قويٍّ، وجسمي يسيرُ وأنا راكبٌ، وقلبي يسبِقُني إلى المنازل؛ لقوَّة العزم وفَرْط الاشتياق إلى حَضْرَته، وكنتُ كلما نزلتُ منزلًا، كانت همَّتي المنزلَ الآخَرَ، لأقطَعه.

(٦) **يقولُ**: جاءتْ بنا هذه الخيلُ إلى مَن هو إنسانُ عينِ زمانِه، أي: كما أنَّ أشرَفَ ما في =

تجُوزُ عَلَيهَا المُحْسِنِينَ إلى الَّذي ... نَرَى عِندَهُمْ إحْسانَهُ وَالأيادِيَا

تَرَفَّعَ عَنْ عُونِ المَكَارِمِ قَدْرُهُ ... فَمَا يَفعَلُ الفَعْلاتِ إلَّا عَذارِيَا[١]

يُبِيدُ عَدَاوَاتِ البُغَاةِ بلُطْفِهِ ... فإنْ لم تَبِدْ منهُمْ أبَادَ الأعَادِيَا[٢]

أبا المِسْكِ ذا الوَجْهُ الذي كنْتُ تائِقًا ... إلَيْهِ وَذا اليَوْمُ الذي كنْتُ رَاجِيَا

لَقِيتُ المَرَوْرَى وَالشَّنَاخيبَ دُونَهُ ... وَجُبْتُ هَجيرًا يَترُكُ المَاءَ صَادِيَا[٣]

أبَا كُلِّ طِيبٍ لا أبَا المِسْكِ وَحْدَه ... وَكلَّ سَحابٍ لا أخُصُّ الغَوَادِيَا[٤]

يُدِلُّ بمَعنًى وَاحِدٍ كُلُّ فَاخِرٍ ... وَقد جَمَعَ الرَّحْمنُ فيكَ المَعَانِيَا[٥]

= العيون سوادُها، كذلك كافورٌ أشرَفُ الملوك، وهو ناظرُ الزمان، ومَن سواه مثلُ البياض والمآقي؛ فلهذا قصَدْناه وترَكْنا غيرَه، فانتظم معنيان: حُسنُ التشبيه؛ لأنه شبَّهَ السوادَ بالسوادِ، والثاني التفضيلُ.

(١) **العُون**: جمع عوان، وهو فوقَ البَكر، ودونَ القارِض المُسِنَّة. والعَذارى: جمعُ عَذْراءَ.
يقولُ: يرفع نفْسَه عن أن يقتديَ بغيره في المكارم، فلا يأُتي من المكارم إلَّا ما لا يسبِقُه أحدٌ فيه.

(٢) **يقولُ**: يتلَطَّف في أمر الأعداء وإزالة الأحقاد من قلوبهم بإحْسانه، فإن لم ينفَعْ فيهم الرفقُ أهلَكَهُم وأفْناهم.

(٣) **المَرَوْرَى**: الفَلَوات، واحدها مَرَوْراةٌ، والشناخيبُ: جمعُ شُنْخوب، وشِنْخاب، وهي القطعة العالية من الجَبَل. والهجيرُ: شدَّة الحَرِّ. والصادي: العطشانُ. والهاء في دونه للوجهِ.
يقولُ: لَقيتُ الفَلواتِ وشواهقَ الجبال، وقاسيْتُ الحَرَّ الشديدَ والعطشَ المُهلِكَ، الذي يترُكُ الماءَ عَطْشانَ مع أنه يكسِرُ العطشَ، فكيف حالُ غيره؟؟!

(٤) **يقولُ**: لستَ أنتَ أبا المِسكِ وحدَه، بل أنتَ أبو كلِّ طيبٍ؛ إذ الطيبُ كلُّه مجموعٌ فيكَ، وكذلك أنتَ أبو كلِّ سَحابٍ، ولستَ بالسحاب التي تأْتي كلَّ غداةٍ، بل كل السحاب.

(٥) **يقولُ**: كلُّ فاخرٍ إنما يفخَرُ بمنقبةٍ واحدةٍ، وقد جمَعَ اللهُ لكَ جميعَ المناقب والمفاخر.

إذا كَسَبَ النَّاسُ المَعَاليَ بالنَّدَى ... فإنَّكَ تُعْطي في نَداكَ المَعَالِيَا[١]

وَغَيرُ كَثِيرٍ أنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ ... فَيَرْجِعَ مَلْكًا للعِرَاقَينِ وَالِيَا[٢]

وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقارَ مُجَرِّبٍ ... يَرَى كلَّ ما فيهَا وَحاشاكَ فَانِيَا

وَمَا كُنْتَ ممَّنْ أدْرَكَ المُلْكَ بالمُنى ... وَلَكِنْ بأيَّامٍ أشَبْنَ النَّوَاصِيَا

عِداكَ تَرَاهَا في البِلادِ مَساعِيًا ... وَأنْتَ تَرَاهَا في السَّمَاءِ مَرَاقِيَا[٣]

لَبِسْتَ لهَا كُدْرَ العَجاجِ كأنَّمَا ... تَرَى غَيرَ صافٍ أنْ تَرَى الجوَّ صَافِيَا[٤]

وَقُدْتَ إلَيْها كلَّ أجرَدَ سَابِحٍ ... يؤدِّيكَ غَضْبَانًا وَيَثْنِيكَ رَاضِيَا[٥]

---

(١) **يقولُ**: إذا بذل الناسُ الأموالَ؛ ليكتسبوا المعاليَ، وهبتَ أنتَ ـ في جملة هباتك ـ المعالي لقُصَّادِكَ.

يعني: أن مَن يقصدِكُ يتشرَّفُ بهباتِكَ، حتى يَبنيَ بها المعاليَ، أو تهِب مَن يقصِدُكَ الولاياتِ العظيمةَ، والدرجاتِ المنيفةَ. يُعرِّضُ له بأن يوليَه ناحيةً.

(٢) **العراقَيْن**: الكوفة والبصرة.

يقولُ: لا يُستكثَرُ منكَ أنْ تهَبَ العراقَيْن لرجُل قصدَكَ راجِلًا فيعود واليًا!

(٣) الهاءُ في تراها قيل: للمعالي، وقيل: للأيام.

يقولُ: أنتَ تعتقِدُ في المعالي، أو الخُطوب العظيمة أضْعافَ ما يعتقدُه أعداؤُكَ من الملوك، فهُم يرَوْنَها مَساعيَ في الأرض، وأنتَ تَراها مَراقيَ في السماء، فحِرصُكَ عليها أبلَغُ، ونَيْلكَ لها أمكَنُ.

(٤) **يقولُ**: لبِستَ للمعالي أو للأيام لباسَ الغُبار، وملازَمة القَتام، حتى كأنَّكَ إذا رأيْتَ الجوَّ صافيًا من غبار الحروب، رأيتَ ذلك كَراهةً، كما يكرهُ غيرُكَ الغُبارَ، وصفاءَ الجو عندكَ، كدَّرَه بالغُبار.

(٥) **إليها**: أي: إلى الأيام، التي هي الحروبُ. والأجردُ: القصيرُ الشَّعرُ. والسابحُ: الشديدُ الجَريءُ.

يقولُ: إنكَ تَقودُ إلى الحروبِ كلَّ فرسٍ سابق، وهو يأْتي بكَ إلى الحرب وأنتَ غَضبانُ، ويرجِعُ بكَ وأنتَ راضٍ؛ لوصولِكَ إلى مُرادِكَ من الأعداء.

وَمُـخْـتَـرَطٍ مَـاضٍ يُـطـيـعُـكَ آمِـرًا وَيَعْصِي إذا اسْتَثْنَيْتَ أوْ صِرْتَ ناهِيَا[١]

كَتائِبَ ما انفَكَّتْ تَجُوسُ عَمائِرًا منَ الأرْضِ قد جاسَتْ إلَيها فَيافِيَا[٢]

غَزَوْتَ بها دُورَ المُلُوكِ فَباشَرَتْ سَنَابِكُها هَامَاتِهِمْ وَالمَغانِيَا

وَأنْتَ الّذي تَغْشَى الأسِنَّةَ أوَّلًا وَتَأنَفُ أنْ تَغْشَى الأسِنَّةَ ثَانِيَا[٣]

إذا الهِنْدُ سَوَّتْ بَيْنَ سَيفَيْ كَرِيهَةٍ فَسَيفُكَ في كَفٍّ تُزِيلُ التَّساوِيَا[٤]

مَدًى بَلَّغَ الأُستاذَ أقْصَاهُ رَبُّهُ وَنَفْسٌ لَهُ لم تَرْضَ إلّا التَّنَاهِيَا[٥]

---

(١) وهذا عطفٌ على ما قبلَه بإضْمارِ فِعلٍ أي: وقُدْتَ إليها كلَّ أجردَ سابحٍ، واخترطْتَ كلَّ سيفٍ مجرَّدٍ.
يقولُ: سيفُكَ يُطيعُكَ إذا أمَرْتَه بالضربِ، فإن أردْتَ التوقُّفَ عن الضربِ عَصاكَ؛ لأنه قد قطَعَ فلا يمكنُ ردُّه.

(٢) **تجوسُ أي**: تدوسُ وتَطأُ. والعمائرُ: القبائلُ، الواحدة عمارةٌ.
يقولُ: إن كتائبَه ما تزالُ تدوسُ قبائلَ من أعدائه، قد سرتَ إليها من بُعْد، وقطعْتَ فيافيَ من الأرض. يعني: أنه يقصِدُ الأعداءَ في ديارِهم.
وقيل: أرادَ بالعمائر الأرضَ العامِرةَ؛ ليُطابِقَ الفيافيَ.
والمعنى: أنها سلكَتِ المفاوِزَ والفَلَواتِ، حتى وصلَتْ إلى ديار الأعْداء فوطِئَتْها وأغارَتْ عليها.

(٣) **يقولُ**: أنتَ تطرحُ نفْسَكَ على رماحِ أعْدائكَ قبلَ أصحابِكَ، وتأنَفُ أن يتقدَّمَكَ أحدٌ في الحرب، ورُويَ: «تلقى الأسنة» في المصراعَينِ.

(٤) **يقولُ**: إذا عمِلَتِ الهندُ سَيفَينِ مَتينَين من حديدٍ واحدٍ، حتى لا فضلَ لأحدِهما على الآخَر، فإذا حصَلَ أحدُهما في يدِكَ صار أمْضى من الآخَر، وزال التَّساوي بيْنَهما.

(٥) **يقولُ**: قد بلَّغَ اللهُ الأُستاذَ هذه المنزلةَ، وبلَّغَته أيضًا نفْسُه التي لم ترْضَ إلا بلوغَ الغاية في المجدِ.

دَعَتْهُ فَلَبَّاهَا إلى المَجْدِ وَالعُلَى وَقد خالَفَ النَّاسُ النُّفوسَ الدَّوَاعيَا[1]

فأصْبَحَ فَوْقَ العالَمِينَ يَرَوْنَهُ وَإنْ كانَ يُدْنِيهِ التَّكَرُّمُ نَائِيَا

❁ ❁ ❁

(١) **يقولُ**: دعَتْه نفْسُه وهمَّتُه إلى طلَبِ المجدِ والمعالي فأجابها، وغيرُه من الملوك قد خالَفَتْه النُّفوسُ الداعيةُ.

٩ ـ قَصيدَتُه الَّتي قالَها حينَ بلَغَه أنَّ قَوْمًا نَعَوْه في مَجلِسِ سَيفِ الدَّولةِ بحلَبَ، فقال في ذلك ولم يُنشِدْها كافورًا الأسْوَدَ، (ص٣٠٤):

بِـمَ الـتَّـعَـلُّـلُ لا أهْـلٌ وَلا وَطَـنُ ... وَلا نَديمٌ وَلا كَأْسٌ وَلا سَكَنُ[(١)]

أُريـدُ مِـنْ زَمَـنـي ذا أنْ يُـبَـلِّـغَـنـي ... مَا لَيسَ يَبلُغُه من نَفْسِهِ الزَّمَنُ[(٢)]

لا تَـلْـقَ دَهْـرَكَ إلَّا غَـيـرَ مُـكْـتَـرِثٍ ... ما دامَ يَصْحَبُ فيهِ رُوحَكَ البَدَنُ

فَـمَـا يُـديـمُ سُـرُورٌ مـا سُـرِرْتَ بِـهِ ... وَلا يَـرُدُّ عَـلَـيكَ الـفَـائِـتَ الـحَـزَنُ

مِـمَّـا أضَـرَّ بـأهْـلِ الـعِـشْـقِ أنَّـهُـمُ ... هَوَوْا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَما فَطِنُوا

تَـفْـنَـى عُـيُـونُـهُـمُ دَمْـعًـا وَأنْـفُـسُـهُـمْ ... فِي إثْرِ كُلِّ قَبيحٍ وَجْهُهُ حَسَنُ[(٣)]

تَـحَـمَّـلُـوا حَـمَـلَـتْـكُـمْ كـلُّ نـاجِـيَـةٍ ... فـكُـلُّ بَـيـنٍ عَـلـيَّ الـيَـوْمَ مُـؤْتَـمَـنُ[(٤)]

---

(١) **التعَلُّلُ**: تَطْيبُ النَّفْسِ. والسكنُ: ما يُسكَنُ إليه.
يقولُ: بأي شيءٍ أتعلَّلُ؟ وقد عدِمْتُ هذه الأشياءَ التي يتَسَلَّى الإنْسانُ بها.

(٢) **يقولُ**: أُريد من الزمان أن يدومَ على حال، فلا يسلُب مني الشبابَ، ولا يُكدِّر عليَّ السرورَ، وهذه حالةٌ لو أرادَها الزمانُ لنفْسِه لم يقدِرْ عليها؛ لأنَّه لو اختار أن يكون نهارًا دائمًا، أو ربيعًا أبدًا لَمَا أمكنَه ذلك، فكيف يُبلِّغُني ما لا يقدِرُ عليه لنفْسِه؟!

(٣) **يقولُ**: عشِقوا بلا تجربةٍ ورَوِيَّةٍ؛ فعيونُهم تذوبُ عبرةً، وأنفُسُهم تَسيلُ حُزنًا على كل قبيحِ الفعلِ حسَنِ الوجهِ.

(٤) **الناجيةُ**: الناقةُ السريعةُ. وتحمَّلوا: أمرٌ، وحملَتْكم: دعاءٌ.
يقول لأحبابه: متى شِئْتم الرحيلَ فارْحَلوا، فلستُ أُبالي بفراق مَن بان عني بعدَ أن عرَفْتُ قُبحَ أفعالكم وخُبثَ هذا الزمان، ولا أخاف الآن من الفراق، فكلُّ فراقٍ مأمونٌ في حقِّي.

ما فِي هَوَادِجِكُمْ من مُهْجَتي عِوَضٌ ... إنْ مُتُّ شَوْقًا وَلا فيهَا لهَا ثَمَنُ[١]

يَا مَنْ نُعيتُ على بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ ... كُلٌّ بِمَا زَعَمَ النَّاعونَ مُرْتَهَنُ[٢]

كَمْ قدْ قُتِلْتُ وكَمْ قدْ مُتُّ عِندَكُمُ ... ثمَّ انتَفَضْتُ فزالَ القَبرُ وَالكَفَنُ[٣]

قدْ كانَ شاهَدَ دَفْني قَبلَ قَوْلِهِمِ ... جَماعَةٌ ثُمَّ ماتُوا قَبلَ مَن دَفَنوا[٤]

مَا كلُّ ما يَتَمَنَّى المَرْءُ يُدْرِكُهُ ... تَجْرِي الرِّياحُ بِمَا لا تَشْتَهي السُّفُنُ[٥]

رَأيتُكُمْ لا يَصُونُ العِرْضَ جارُكمُ ... وَلا يَدِرُّ على مَرْعاكُمُ اللَّبَنُ[٦]

جَزاءُ كُلِّ قَرِيبٍ مِنكُمُ مَلَلٌ ... وَحَظُّ كُلِّ مُحِبٍّ منكُمُ ضَغَنُ

وَتَغضَبُونَ على مَنْ نَالَ رِفْدَكُمُ ... حتَّى يُعاقِبَهُ التَّنْغيصُ وَالمِنَنُ[٧]

---

(١) **يقولُ**: نَفْسي أحبُّ إليَّ من أحبَّتي الذين عَزَموا على البُعد والرحيل عنِّي في هوادجِكم، فكيف أَفْنيها شوقًا إليهم ولا عِوَضَ لي فيهم؟! وليس في الهوادج ثمنٌ لمُهجَتي.

(٢) يُخاطِبُ سيفَ الدولة يقولُ: كلٌّ منَّا مَرْهون بالموت فلا شماتةَ فيه لأحدٍ.

(٣) **يقولُ**: كم مرةٍ أُخبِرتَ بموتي وقَتْلي وأنا حيٌّ! فبطلَ ما تمَنَّاه المُرْجِفون، وزالَتْ أراجيفُهم.

(٤) **يقولُ**: قد كان جماعةٌ قبلَ مَن أخبرَكَ الآن بموتي، زَعَموا أنهم شاهدوا دَفْني، ثم ماتوا وأنا حيٌّ.

(٥) **يقولُ**: ليس كلُّ ما يَشتَهيه الإنسانُ يصِلُ إليه، فإن الأقدارَ لا تَجْري على وَفْق الإرادات، كما أن الرياح إنما تهُبُّ على طَبْعها لا على ما يختارُه أصحابُ السُّفن، وهذا تعريضٌ بسيف الدولة.
يقولُ: إن الأمر ليس كما تُحبُّه من موتي، فإني ربما عشتُ بعدَكَ.

(٦) **يقولُ**: مَن جاوَرَكم لا يصونُ عِرضَه عن الذل والأذى، وليس عندَكم مَرْعًى خصيبٌ يُدِرُّ عليه اللبنَ.
يعني: لا خيرَ عندَكم نصبِرُ لأجْله على الأذى.

(٧) **يقولُ**: إذا أحسنْتُم إلى إنسانٍ نغَّصْتُم عليه نِعَمَكم بالغضبِ والمنِّ حتى يصيرَ التنغيصُ والمِنَنُ عُقوبةً عليه.

إنِّي أُصَاحِبُ حِلْمي وَهْوَ بي كَرَمٌ ... وَلا أُصاحِبُ حِلْمي وَهوَ بي جُبُنُ(١)

وَلا أُقيمُ على مَالٍ أَذِلُّ بِهِ ... وَلا ألَذُّ بِمَا عِرْضِي بِهِ دَرِنُ

سَهِرْتُ بَعدَ رَحيلي وَحْشَةً لكُمُ ... ثمَّ استَمَرَّ مَريري وَارْعَوَى الوَسَنُ(٢)

وَإنْ بُلِيتُ بوُدٍّ مِثْلِ وُدِّكُمُ ... فإنَّني بفِراقٍ مِثْلِهِ قَمِنُ(٣)

أبْلَى الأجِلَّةَ مُهْري عِندَ غَيرِكُمُ ... وَبُدِّلَ العُذْرُ بالفُسْطاطِ وَالرَّسَنُ(٤)

عِندَ الهُمامِ أبي المِسْكِ الَّذي غرِقَتْ ... فِي جُودِهِ مُضَرُ الحَمْراءِ وَاليَمَنُ

وَإنْ تأخَّرَ عَنِّي بَعضُ مَوْعِدِهِ ... فَمَا تَأخَّرُ آمَالي وَلا تَهِنُ(٥)

هُوَ الوَفِيُّ وَلَكِنِّي ذَكَرْتُ لَهُ ... مَوَدَّةً فَهْوَ يَبْلُوهَا وَيَمْتَحِنُ(٦)

---

(١) **يقولُ**: أحلُمُ ما دام الحِلم منِّي منسوبًا إلى الكَرم، فأما إذا كان منسوبًا إلى الذلِّ والجُبن لم أصبِرْ عليه.

(٢) المريرُ جمعُ المَريرة، وهي القوَّةُ من الحبل. يُقال: استمرَّ فلانٌ على مريره: أي: جرى على عادته التي أُمِر عليها. يقولُ: لَمَّا فارقْتُكم سهِرْتُ وَحْشةً لفراقكم، فلما طالت الأيامُ نَسيتُكم وتَسلَّيتُ عنكم، وعاد النومُ إلى عَيْني.

(٣) **يقولُ**: إنْ عامَلَني كافور بمثل ما عاملتموني به، وجرى على عادتكم في الأذى، فارقْتُه كما فارقْتُكم.

(٤) **الأجِلَّة**: جمعُ الجِلالِ، وهو ما تلبَسُه الدَّوابُّ، والعُذرُ جمعُ العِذار، وهو ما سال على خدِّ الفرسِ من اللِّجام.

يقولُ: طال مُقامي عند غيركم لإكرامه إيَّاي، حتى أبلى مُهري الأجِلَّة جُلًّا بعد جُلٍّ، وبُدِّل عليه عِذارٌ بعد عِذارٍ، فلم يملَّني كما مَلِلْتُم أنتم مُقامي عندَكم.

(٥) **يقولُ**: إنْ تأخَّر عني بعضُ ما وعَدَني به من الولاية وغيرها، فإنَّ أَمَلي فيه في غاية القوَّة. وهذا استبطاءٌ وعتابٌ.

(٦) **يقولُ**: هو يَفي بما وعدني، ولكني ذكرْتُ إظهارَ المودَّة التي يُختَبَرُ بها ويُمتَحَنُ.

يعني: كنتُ أُظهِرُ له المودَّةَ فأذكُرُها، فهو يمتحِنُ ما ذكرْتُه من المودَّة فيؤخِّر مَوْعدي تجربةً لمودَّتي له.

١٠ ـ قَصيدَتُه الَّتي قالَها حينَما نالَتْه بمِصرَ حُمَّى، وكانَتْ تَغْشاهُ إذا أقبَلَ اللَّيلُ، وتَنصرِفُ عنه إذا أقبَلَ النَّهارُ بعَرَقٍ، فقال يَصِفُ الحُمَّى ويَذُمُّ الأسْوَدَ، ويُعرِّضُ بالرَّحيلِ، فشُغِفَ النَّاسُ بها بمِصرَ، وأنْشَدوها الأسْوَدَ فساءَتْه.

وذلك في سنةِ ثَمانٍ وأرْبَعينَ وثَلاثِ مائةٍ، (ص٣١١):

مَـلـومُـكُـمـا يَـجِـلُّ عَـنِ الـمَـلامِ ... وَوَقْـعُ فَـعـالِـهِ فَـوقَ الـكَـلامِ(١)

ذَرانـي والـفَـلاةَ بـلا دَلـيـلٍ ... ووَجْـهـي والـهَـجـيرَ بـلا لِـثـامِ(٢)

فـإنِّـي أسْـتَـريـحُ بِـذِي وهَـذا ... وأتْـعَـبُ بـالإنـاخـةِ والـمُـقـامِ(٣)

ولَـمَّـا صـارَ وُدُّ الـنَّـاسِ خِـبًّـا ... جَـزَيْـتُ على ابْـتِـسامٍ بـابْـتِـسامِ(٤)

وصِـرْتُ أشُـكُّ فـيـمَـن أصْـطَـفـيـهِ ... لِـعِـلْـمـي أنَّـه بَـعـضُ الأنـامِ(٥)

---

(١) **يقول لصاحبَيه**: الرجلُ الذي تلومانِه ـ يعني نفْسَه ـ يجِلُّ عن لَوْمِكما فلا تُؤْذياه بملامِكما. وكذلك وقع فعلُ هذا الرجل المَلوم فوقَ الكلام الذي توجِّهانِه إليه على سبيل المَلام. يعني: أن فعلَه أجَلُّ أيضًا من أن يُلام عليه.

(٢) نصبَ الفلاةَ والهجيرَ؛ لأنَّهما مفعول، والهجير: شدَّةُ الحرِّ، واللِّثام: ما يُشَدُّ على الفَمِ من طرف العمامة.

يقول لصاحبَيْه: ذَراني مع الفلاة أقطعُها بلا دليل؛ فإني دليلٌ لنَفْسي، وذَرَا وجهي مع الهجير بلا لثام؛ فإن جِلدة وجهي تنوبُ لي مَناب اللثام.

(٣) **بذي**: إشارة إلى الفلاة، وهذا: إشارةٌ إلى الهجير.

يقولُ: أنا أستريحُ بقَطْع الفَلَوات ومُلاقاة الحَرِّ، وأتعَبُ بإناخة المطيَّة والإقامة.

(٤) **الخِبُّ**: الخَديعةُ.

يقولُ: لَمَّا نافقَني الناسُ بالوداد، عاشَرْتُهم كما عاشَروني، وجازَيْتُهم ابتسامًا على ابتسامهم.

(٥) **يقولُ**: لما رأيتُ الناسَ مطبوعين على الغَدْر! صرْتُ أشُكُّ فيمَن أصْطَفيه وأثِقُ به =

يُحِبُّ العاقِلونَ على التَّصافي وحُبُّ الجاهِلينَ على الوَسامِ[١]

وآنَفُ من أخي لأبي وأُمِّي إذا ما لم أجِدْه منَ الكِرامِ[٢]

أرَى الأجْدادَ تَغلِبُها كَثيرًا على الأوْلادِ أخْلاقُ اللِّئامِ[٣]

ولسْتُ بقانِعٍ من كلِّ فَضْلٍ بأنْ أُعْزى إلى جَدٍّ هُمامِ[٤]

عجِبْتُ لِمَن له قَدٌّ وحَدٌّ ويَنْبو نَبْوةَ القَضِمِ الكَهامِ[٥]

ومَن يجِدُ الطَّريقَ إلى المَعالي فلا يَذَرُ المَطيَّ بلا سَنامِ[٦]

ولم أرَ في عُيوبِ النَّاسِ عَيبًا كنَقصِ القادِرينَ على التَّمامِ[٧]

= من أهلٍ أو ولدٍ، لمعرفتي أنه بعضُ الناس، والغدرُ قد عمَّهم.

(١) الوَسامُ، والوَسامة، والمِيسَمُ: حُسنُ الوجه.
يقولُ: العاقل يحبُّ مَن يَصْطَفيه في الوداد. والجاهلُ يحبُّ مَن حسُنَ وَجهُهُ.

(٢) **يقولُ**: إن أخي من الأم والأب إذا لم يكنْ كريمًا جانَبْتُه، وأنِفْتُ أن يكون لي أخًا مع لُؤْمه.
يعني: لا أصحَبُ إلَّا كرامَ الناس وخيارَهم.

(٣) **يقولُ**: خُلُقُ اللئيم قد يغلِبُ الأصْلَ الطيِّبَ حتى يكون صاحبُه لئيمًا، وإنْ كان من أصْلٍ كريم.

(٤) **يقولُ**: لا أرْضى من الفضل والشرف بمجرَّد كَرَم النَّسَب، حتى أكسبَ لنَفْسي مفاخرَ أتشرَّفُ بذِكْرها.

(٥) **القَدُّ**: القامة. والحَدُّ: يجوز أن يريدَ به أن يكون قد بلغ حدَّ الرجال، وأن يريدَ به الحدَّةَ في الأمر. والقَضِمُ: المتكسِّرُ. والكَهامُ: الكليلُ.
يقولُ: عجبْتُ ممَّن له صورةُ الرجل الكامل، وآلةٌ تُبَلِّغه إلى معالي الأمور فلم يبلُغْ إليها، ويَنْبو كالسيف الكليل.

(٦) «مَن» في موضِعِ جرٍّ عطفًا على قوله: «عجبْتُ لمَن له قدٌّ»، يقولُ: عجبْتُ ممَّن يجِدُ الطريقَ إلى المعالي فلا يسيرُ إليها حتى يُهزِلَ المطيَّ بسَيْره ويُذيب أسنمتَها تحتَه، فتَبْقى بغير سَنام.

(٧) **يقولُ**: ليس في الإنسان عيبٌ أقبَحُ من أن يكونَ ناقصًا مع قُدْرته على الكمال.

أقَمْتُ بأرْضِ مِصرَ فلا وَرائي ... تَخُبُّ بي الرِّكابُ ولا أمَامي[١]

ومَلَّني الفِراشُ وكانَ جَنْبي ... يَمَلُّ لِقاءَهُ في كلِّ عامِ[٢]

قَليلٌ عائِدي، سَقِمٌ فُؤادي ... كَثيرٌ حاسِدي، صَعبٌ مَرامي

عَليلُ الجِسمِ مُمتنِعُ القيامِ ... شَديدُ السُّكْرِ من غَيرِ المُدامِ

وزَائِرَتي كأنَّ بها حَياءً ... فليسَ تَزورُ إلَّا في الظَّلامِ[٣]

بذَلْتُ لها المَطارِفَ والحَشَايَا ... فَعافَتْهَا، وباتَتْ في عِظامِي[٤]

يَضيقُ الجِلدُ عن نَفْسي وعَنها ... فتُوسِعُه بأنْواعِ السِّقامِ[٥]

كأنَّ الصُّبحَ يَطرُدُها فتَجْري ... مَدامِعُها بأرْبَعةٍ سِجامِ[٦]

= وقيل: معناه ليس عيبٌ أقبحَ من الكسلِ.

(١) **يقولُ**: بقيتُ بمصرَ مُتبرِّمًا بها فلا أسيرُ عنها متقدِّمًا، ولا متأخِّرًا.

(٢) **يقولُ**: طال نَوْمي على الفراش حتى ملَّ الفراشُ منِّي، وكان جَنبي إذا لقيَ الفراشَ في عامٍ مرةً واحدةً ملَّ منه.

(٣) **عَنَى بالزائرة**: الحُمَّى، كأنها تَستَحي من أن تزورَ بالنهار، فتَأْتيني في الظلام؛ لفَرْط حيائها.

(٤) **المطارِفُ**: أرْديَةٌ من الخَزِّ، مُعَلَّمة الأطراف، الواحد مُطرف، بضم الميم. والحشايا: جمعُ حشيَّة.
يقولُ: فرشتُ لهذه الزائرة الفُرُشَ الحسنةَ فكرِهَتْ أن تَبيت عليها، ولم تقنَعْ بها، فوصلَتْ إلى عظامي وباتَتْ فيها.

(٥) **عنها أي**: عنِ الزائرة.
يقولُ: جِلْدي يضيقُ عن احتمال نَفْسي واحتمال الحُمَّى، فوَسِعَت الحُمَّى جِلْدي؛ بأن أذابَتْه، وأكلَتْ لَحْمي ليتسِعَ لها!

(٦) **يقولُ**: إذا جاء الصبحُ فارَقَتْني هذه الزائرةُ، فكأن الصبحَ يَطرِدُها عني بعد ما ألِفَتْني، فتدمعُ عينُها جَزَعًا من ألمِ الفراق.
جعل عرَقَه دمعًا يسيلُ من أجفانها. وقوله: بأربعةٍ سِجام يعني: أن الدمع كان يَجْري =

أُراقِبُ وَقتَها من غَيرِ شَوْقٍ   مُراقَبةَ المَشوقِ المُسْتَهامِ[١]
ويَصدُقُ وَعْدُها والصِّدقُ شَرٌّ   إذا ألْقاكَ في الكُرَبِ العِظامِ[٢]
أبِنْتَ الدَّهْرِ عِنْدي كلُّ بِنتٍ   فكيف وصَلْتِ أنْتِ منَ الزِّحامِ[٣]
جرَحْتِ مُجرَّحًا لم يَبقَ فيه   مَكانٌ للسُّيوف ولا السِّهامِ[٤]
ألَا يا لَيْتَ شِعرَ يَدي أتُمْسي   تَصرَّفُ في عِنانٍ أو زِمامِ[٥]
فَرُبَّتَما شَفَيْتُ غَليلَ صَدْري   بسَيْرٍ أو قَناةٍ أو حُسامِ
وضاقَتْ خُطَّةٌ فخلَصْتُ منها   خَلاصَ الخَمرِ من نَسْجِ الفِدامِ
وفارقْتُ الحَبيبَ بلا وَداعٍ   ووَدَّعْتُ البِلادَ بلا سَلامِ[٦]

= من طرفَيِ العين الذي يَلي الأنف والأصداغ، وكذلك من العين الأُخرى، فهذه أربعة مجارٍ. وسِجام: أي: جارية.

(١) **يقولُ**: أنا أنتظِرُ وقتَ زيارتها، كما ينتظر العاشقُ وقتَ زيارة حبيبه، وليس ذلك من شَوْق مني إليها.

(٢) **يقولُ**: هي صادقةُ الوعد، ولَيْتَها تُخلِفُ وَعدَها؛ فإن الصدقَ إذا كان يؤدِّي إلى المحَنِ العِظام فهو مذمومٌ.

(٣) **بنتُ الدهر**: هي الداهيةُ.

يقول للحُمَّى: يا بنتَ الدهر، كيف وصلتِ إليَّ مع ازدحام حوادث الدهر وتراكُم الدواهي عليَّ؟! وهذا المراد بقوله: «عندي كلُّ بنتٍ».

(٤) **يقول للحُمَّى**: جرَحْتِ مني بدنًا مجرَّحًا، قد عمَّتْه الجراحاتُ، فليس فيه موضِعٌ صحيحٌ تجرَحُه السيوفُ والسهامُ.

(٥) **يقولُ**: لَيْتَني أعرفُ هل تتمكَّنُ يدي من التصرُّف في عِنان فَرسي، أو زِمام ناقتي بعدَها؟ عند رحيلي من مصرَ ومُفارَقَتي الأسوَدَ.

(٦) **يقولُ**: إنه صارَ عاجزًا لا يستطيعُ التخلُّصَ من تلك الزائرة التي زارَتْه، وقد كان قبلَ ذلك يشفي غليلَ نفْسِه بالرحيل أو القتال؛ فكم من حيلةٍ استطاع الخروجَ منها كما تخلصُ الخمرُ من المِصْفاة، وما أكثرَ ما رحل فجأةً دونَ إعْلام أحدٍ أو وَداعِ حبيب.

يَقولُ لي الطَّبيبُ: أكلْتَ شَيئًا ... وداؤُكَ في شَرابِكَ والطَّعامِ(١)

وما في طِبِّه أنِّي جَوادٌ ... أضَرَّ بجِسْمِه طولُ الجَمامِ(٢)

تَعوَّدَ أنْ يُغبِّرَ في السَّرايَا ... ويَدخُلَ من قَتامٍ في قَتامِ(٣)

فأُمسِكَ لا يُطالُ له فيَرْعى ... ولا هو في العَليقِ ولا اللِّجامِ(٤)

فإنْ أمْرَضْ فما مَرِضَ اصْطِباري ... وإنْ أُحْمَمْ فما حُمَّ اعْتِزامِي

وإنْ أسْلَمْ فما أبْقَى ولَكنْ ... سلِمْتُ منَ الحِمامِ إلى الحِمامِ(٥)

تمتَّعْ من سُهادٍ أو رُقادٍ ... ولا تأمُلْ كَرًى تَحتَ الرِّجامِ(٦)

---

(١) **يقولُ**: إذا رآني الطبيبُ مُتغيِّرَ الحال قال: قد أكلتَ شيئًا ضرَّكَ، فإن ذلك من الطعام والشراب.

(٢) **الجَمامُ**: الراحةُ.

يقولُ: إن الطبيب لا يعلَمُ أن مَرَضي من طول مُقامي بمصر، وتَرْكي لِما هو عادتي من السفر، كما أن الفرس إذا تعوَّدَ السيرَ عليه، وتحمَّلَ الكَدَّ والنَّصبَ، ثم طال مُقامُه على الجَمام، أضرَّ به ذلك.

(٣) **يغبِّرُ**: أي: يُثير الغُبارَ.

يقولُ: مَثَلي مثَلُ فرسٍ يدخل من غبار إلى غبار.

(٤) **العَليقُ**: ما يُعَلَّقُ على الفرس.

يقولُ: أنا مثلُ فرسٍ جوادٍ تعوَّدَ القتالَ، ثم حُبِس في مكان فلا يُرْخى له الحبلُ حتى يَرْعى بنفْسِه، ولا يُعلَّقُ عليه ما يأكلُه، ولا عليه لجامٌ! فكذلك أنا عند كافور: لا يأذَنُ لي في الرحيل، ولا يكفيني مؤنةَ المُقام.

(٥) **يقولُ**: إن سلمتُ الآن من مرضي فلا خلودَ في الدنيا، ولكنَّ آخِرَ أمري الموتُ، فكأني نجوْتُ من موتٍ مُعجَّلٍ إلى موت مؤجَّلٍ.

(٦) **الرِّجام**: القبور، واحدُها رَجَمٌ.

يقولُ: تمتَّع في هذه الدنيا من النوم واليقظة، ولا تطمَعْ في النوم ولذَّته إذا صرْتَ إلى القبر.

فـإنَّ لـثـالِـثِ الـحـالَـيـنِ مَـعْـنًـى سِوى مَعْنى انْتباهِكَ والمَنامِ[١]

❁ ❁ ❁

(١) **يقولُ**: إن الموت حالةٌ ثالثةٌ سوى النوم والانتباه، وليس فيه شيءٌ من اللذة التي تُرْجى في اليقظة والمنام، ولكنه الفناءُ والفسادُ، ولا تُرْجى فيه اللذةُ بحالٍ من الأحوال.

١١ ـ قَصيدَتُه الَّتي قالَها في أبي شُجاعٍ، وقدْ كانَ أبو شُجاعٍ فاتِكٌ الكَبيرُ المَعْروفُ بالمَجْنونِ كَريمَ النَّفْسِ حُرَّ الطَّبعِ، بَعيدَ الهِمَّةِ.

وكانَ في أيَّامِ كافورٍ مُقيمًا بالفَيُّومِ منْ أعْمالِ مِصرَ، وهو بلَدٌ كَثيرُ الأمْراضِ، لا يصِحُّ به جِسمٌ، وإنَّما أقامَ به أنَفةً منَ الأَسْوَدِ وحَياءً منَ النَّاسِ أنْ يَركَبَ معَه، وكانَ الأَسْوَدُ يَخافُه، ويُكرِمُه فزَعًا، وفي نَفْسِه ما في نَفْسِه، فاستَحكَمَتِ العِلَّةُ في بدَنِ فاتِكٍ، وأحوَجَتْه إلى دُخولِ مِصرَ فدخَلَها، ولم يُمكِّنْ أبا الطَّيِّبِ أنْ يَعودَه، وفاتِكٌ يَسْأَلُ عنه، ويُراسِلُه بالسَّلامِ، ثمَّ الْتَقيَا في الصَّحْراءِ، فحمَلَ إلى مَنزِلِه للوَقتِ هَديَّةً قيمَتُها أَلْفُ دينارٍ ذَهبًا، ثم أَتْبَعَها هَدايَا بَعدَها.

فقال أبو الطَّيِّبِ يَمدَحُه سنةَ ثَمانٍ وأرْبَعينَ وثَلاثِ مائةٍ، (ص٣١٤):

لا خَيلَ عِندَكَ تُهْديهَا ولا مَالُ ... فلْيُسعِدِ النُّطقُ إنْ لم تُسعِدِ الحالُ[١]

واجْزِ الأميرَ الَّذي نُعْماه فاجِئَةٌ ... بغَيرِ قولٍ، ونُعْمى النَّاس أقْوالُ[٢]

فرُبَّما جَزَتِ الإحْسانَ مُولِيَه ... خَريدةٌ من عَذارى الحَيِّ مِكْسالُ[٣]

---

(١) **يقول لنَفْسه**: ليس عندك خيلٌ ولا غيرُها من الأموال تُهْديها إلى فاتكٍ، مكافأةً على إحسانه، فأنتَ قادرٌ على مدحه، فساعِدْه بالقول الجميل، إن لم يُساعدْكَ الحالُ على الأجر الجزيل.

(٢) **فاجئة**: اسمُ فاعل من الفُجاءة.
يقولُ: كافئ الأميرَ الذي يُفاجئ بإنعامه من غير وعدٍ، وغيرُه يقولُ ولا يفعلُ: يُعَرِّض بكافور.

(٣) **الخَريدة**: الجارية الناعمة، وقيل: الكثيرةُ الحياءِ. والمِكْسال من النساء: الفاترةُ القليلةُ التصرُّف.
يقولُ: إذا كانت النساء مع ضعفهنَّ، وعادتهنَّ كُفْران النِّعَم، ربما جازَيْنَ مَن أحسَنَ =

وإنْ تكُنْ مُحْكَماتُ الشُّكْلِ تَمنَعُني ... ظَهورَ جَرْيٍ فلي فيهِنَّ تَصْهالُ[(١)]

وما شكَرْتُ لأنَّ المالَ فَرَّحَني ... سِيَّانِ عِنْدي إكْثارٌ وإقْلالُ

لكنْ رأيْتُ قَبيحًا أنْ يُجادَ لنا ... وأنَّنا بقَضاءِ الحقِّ بُخَّالُ[(٢)]

لا يُدرِكُ المجدَ إلَّا سيِّدٌ فَطِنٌ ... لِما يَشُقُّ على السَّاداتِ فَعَّالُ

لا وارِثٌ جَهِلَتْ يُمْناهُ ما وهَبَتْ ... ولا كَسوبٌ بغَيرِ السَّيفِ سَأْآلُ[(٣)]

قال الزَّمانُ له قَولًا فأَفْهَمَه ... إنَّ الزَّمانَ على الإمْساكِ عَذَّالُ[(٤)]

= إليهنَّ، فأنتَ أقدَرُ على شُكر مَن أحسَنَ إليكَ.

وخصَّ من النساء الخَريدةَ المِكْسالَ؛ لضعفها وفُتورها.

(١) **الشُّكْل**: جمعُ الشِّكال، وهو حبلٌ تُشَدُّ به قوائمُ الدابَّة.

يقولُ: إن كان ضيقُ حالي يمنعُني من مكافأتك فعلًا؛ فإني أُكافئُكَ قولًا يظهر ما في نَفْسي، كصهيل الجواد يُظهِر ما في نَفْسه من الشوق إلى الجري، وإن حبَسَه القيدُ. شبَّه نفْسَه بالجواد المَشْكول، إذا لم يقدرْ على الجري صهَلَ شوقًا إليه.

وقيل: معناه: إذا لم أقدِرْ على المكاشَفة بنُصرتكَ على كافور؛ فإني أمدحُكَ، وإني في ذلك كالجواد المَشْكول عن الجري؛ فإنه يصهَلُ شَوقًا إليه.

(٢) **بُخَّال**: جمعُ باخِلٍ.

يقولُ: إنما شكرتُ لكَ؛ لأني رأيتُ بُخلي بقضاء الحق مع جودِكَ عليَّ قبيحًا.

قال ابن جِنِّي: لَمَّا وصلْتُ في القراءة إلى هذا الموضِعِ، قال المتنَبِّي: هذا رجلٌ حملَ إليَّ ألفَ دينارٍ في وقتٍ واحدٍ.

قال: وما رأيْتُه أشكَرَ لأحدٍ منه لفاتكٍ، وكان يترحَّم عليه كثيرًا.

(٣) **يقولُ**: لم يرِثْ هذا المالَ الذي وُهِبَه من آبائه، فيجهل قَدرَه، حيث لم يَلحقْه عناءٌ بجَمْعه، بل كسَبَه بسيفه وقَهَر عليه أعداءَه، ولم يجمَعْه بالسؤال، حتى لا يعرِفَ خطرَه.

و(لا) في قوله: لا وراث، بمعنى غير: أي: غير وارِثٍ..، أي: لا يُدرِكُ المجدَ إلَّا سيِّدٌ فطِنٌ لا وراثٌ جاهلٌ بقَدْرِ ما يهَبُ.

(٤) **يعني**: أن الزمانَ أيقظَه بتصاريفِه، حتى كأنه عذَلَه على الإمساك، وأمَرَه بأن يهَبَ كيما =

تَـدْري الـقَـنـاةُ إذا اهْـتـزَّتْ بـراحَـتِـه   أنَّ الـشَّـقـيَّ بـهـا خَـيـلٌ وأبْـطـالُ(١)

كـفـاتِـكٍ ودُخـولِ الـكـافِ مَـنـقَـصـةٌ   كالشَّمسِ قلْتُ، وما للشَّمسِ أمْثالُ(٢)

تُـمْـسي الـضُّـيـوفُ مُـشـهَّـاةً بـعَـقْـوَتِـه   كـأنَّ أوْقـاتَـهـا فـي الـطِّـيـب آصـالُ(٣)

لـوِ اشـتَـهَـتْ لَـحْـمَ قـارِيـهـا لَـبـادَرَهـا   خَـراذِلٌ مـنـه فـي الـشِّـيزَى وأوْصـالُ(٤)

= يكسِبَ المجدَ والشرفَ، فألِفَ الجودَ؛ لعِلْمه بحُسن عواقبه، وعادى البُخلَ لتَيقُّنه بقُبح مصائره، ورأى أن الزمانَ لا يمتِّعُ البخيلَ بما كسَبَ، ولا يُفقِد الجوادَ خلَفًا فيما وهَبَ وبذَلَ. فكأنه قال هذا القولَ.

(١) **يقولُ**: إذا تحرَّكتِ القناةُ في يدِه، علِمَتْ أنَّه يقتُلُ بها الأبطالَ والخيلَ. وهذه الأبياتُ من تمام قوله: لا يُدرِكُ المجدَ إلا سيِّدٌ فَطِنٌ.

(٢) **يعني**: لا يبلُغُ المجدَ إلا سيِّدٌ كفاتكٍ، ثم استدركَ وقال: ودخول الكاف مَنقَصة؛ أي:
إذا قلتُ: كفاتِكٍ جعلتُ له نظيرًا، ولا نظيرَ له، ثم اعتذَرَ فقال: إنما قلتُ: «كفاتكٍ» مع عِلمي أنه لا نظيرَ له، كما أُشَبِّهُ الأشياءَ بالشمس، وأعلَمُ أنه لا مِثلَ لها، ولم يوجِبْ ذلك نقصًا فيها.
كذلك هذا.

(٣) **عَقْوَته**: ساحتُه. والمُشَهَّاة: من قولهم: شَهَّيْتَه: أي: جعلتَه يَشتَهي، أو أنَلْتَه ما يشتهي. والآصال: جمعُ أُصُل، وأُصُل: جمعُ أصيلٍ، وهو بعد العصرِ؛ وذلك الوقتُ يَطيبُ خاصةً في الصيف.
يقولُ: إنه يُكرم أضيافَه، ويُمكِّنُهم من كل ما يَشتَهونَه، فأوقاتُهم كلُّها عنده طيِّبةٌ كالآصال.

(٤) **القاري**: المضيِّفُ، وهو الممدوحُ، ولحمُ خراذل بالذال والدال: مُقَطَّعٌ، والواحد خرذلةٌ. والشِّيزى: جفانٌ سودٌ يُقال: إنها من الشِّيز.
والهاءُ في قاريها وبادَرَها للأضياف.
يقولُ: لو اشتهتِ الأضيافُ لحمَه لنحَرَ لهم نفْسَه، وحُمِلتْ قِطعًا إلى الضيوف في الجفان، وحُمِلت إليهم أوصالُه مُقطَّعةً.

لا يَعرِفُ الرُّزْءَ في مالٍ ولا ولَدٍ   إلّا إذا حَفَزَ الضِّيفانَ تَرْحالُ(١)

تَجْري النُّفوسُ حَوالَيْهِ مُخلَّطةً   منها عُداةٌ وأغْنامٌ وآبالُ(٢)

لا يَحْرِمُ البُعْدُ أهْلَ البُعْدِ نائِلَهُ   وغَيرُ عاجِزةٍ عَنْهُ الأُطَيْفَالُ(٣)

أمْضى الفَريقَينِ في أقْرانِه ظُبةً   والبِيضُ هادِيةٌ والسُّمْرُ ضُلّالُ(٤)

يُريكَ مَخبَرُه أضْعافَ مَنظَرِه   بيْنَ الرِّجالِ وفيها الماءُ والآلُ(٥)

وقدْ يُلقِّبُه المَجْنونَ حاسِدُه   إذا اختَلَطْنَ وبعضُ العَقْلِ عُقّالُ(٦)

---

(١) **الحَفَز**: التحريكُ والإزعاجُ. والرُّزْءُ: المُصيبةُ.
يقولُ: لا يغتمُّ لشيء أصابَه في ماله وولده، وإنما يحزَنُ عندما يتأهَّبُ الضيفُ للرحيل.

(٢) **النُّفوس**: الدماءُ.
يقولُ: إنه يقتُلُ الأعداءَ وينحَرُ الآبالَ ويذبحُ الأغنامَ، فتختلطُ الدماءُ بعضُها ببعضٍ.
والتقديرُ: تَجري دماءُ النفوس، ومنها دماءُ أعداء، ومنها دماءُ أغنام. فحذف المضافَ وأقام المضافَ إليه مَقامَه.

(٣) **الأُطَيْفال**: تصغيرُ أطْفالٍ.
يقولُ: يصِلُ نوالُه إلى القريب والبعيد، والقوي والضعيف، فلا يُحرَمُ البعيدُ عطاءَه لأجْل بُعْده، ولا الطفلُ لصِغَر سنِّه.

(٤) **الظُّبَةُ**: حدُّ السيفِ. يقولُ: إذا الْتقى الجيشان، وسقطَتِ الرماح السُّمرُ، وآلَ الأمرُ إلى السيوف البِيض، فهو أمْضى الفريقَين سيفًا في ذلك الوقت.

(٥) الهاءُ في فيها للرجال. والآلُ: السرابُ.
يقولُ: إذا جربتَه في الحرب رأيتَ منه أضعافَ منظرِه. وفي الرجال مَن له حقيقةٌ كالماء؛ يروي ويصدُق، وفيهم مَن لا حقيقةَ له كالسراب؛ يخدَع ولا ينفَع.

(٦) **العُقَّال**: داءٌ يأخذُ الدابَّةَ في الرِّجْلَين، فيعقلُهما عن التصرُّف.
وكان فاتكٌ يلقَّبُ بالمجنون، فصرَّح بذِكْر لقبه، ثم تخلَّصَ منه أحسَنَ تخلُّص، حتى فضَّلَ الجنونَ على العقل.

=

يَرْمي بها الجَيشَ لا بُدٌّ له ولها ... من شقِّه ولَو أنَّ الجَيشَ أجْبالُ[١]
إذا العِدى نَشِبَتْ فيهِم مَخالِبُه ... لم يَجتَمِعْ لهُمُ حِلمٌ ورِئْبالُ[٢]
إذا المُلوكُ تحلَّتْ كانَ حِليتَه ... مُهنَّدٌ وأصَمُّ الكَعْبِ عَسَّالُ[٣]
أبو شُجاعٍ أبو الشُّجعانِ قاطِبةً ... هَوْلٌ نَمَتْه منَ الهَيْجاءِ أهْوالُ[٤]
تملَّكَ الحَمدَ حتَّى ما لمُفتَخِرٍ ... في الحَمدِ حاءٌ ولا مِيمٌ ولا دالُ[٥]
عليهِ منهُ سَرابيلٌ مُضاعَفةٌ ... وقد كَفاهُ منَ الماذِيِّ سِرْبالُ[٦]

= فيقولُ: إنما جنونُه عند اختلاط الصفوف، والعقل في ذلك الوقت عُقَّال على صاحبه، فجنونُه: شجاعةٌ وإقدامٌ، لا كما يزعُمُه الحاسد. فحسَّنَ لقبَه!

(١) **بها أي**: بالخيل، والهاءُ في له للممدوح.
يقولُ: يَرْمي بخيله جيشَ العدو، فلا بدَّ له ولخيله من شق الجيش، وإنْ كان كالجبل شدَّةً وثباتًا.

(٢) **نشِبت**: ثبَّتَتَ. والرِّئبالُ: الأسدُ.
يقولُ: إنَّ حِلمه مقصورٌ على أوقات السِّلم، فإذا حَمِيَ وَطيسُ الحربِ وأَعمَل فاتكٌ في الأعداء قوَّتَه، لم يُرِهِم رأفةً أو رحمةً؛ إذ لا اجتماعَ في الحرب بيْنَ الِحلم والبأْس.
وهذا تأكيدٌ لتحسين لَقَبه، وتفضيله على العقل.

(٣) اسمُ كانَ مُضمَرٌ، والجملة في موضِع النصب على أنها خبرُ كان، أي: كان هو، أو كان الأمرُ والشأنُ حليتَه مُهَنَّد. يقولُ: إذا تزيَّن الملوكُ بالحُلَل وأنواع الحُليِّ فهو يتزيَّن بسيفه ورُمحه. والعسَّال: الرمح المضطرِب.

(٤) **الهَولُ**: الخوفُ والفزعُ، ونَمَتْه: أي: غذَّته وربَّته. يقولُ: هو أبو شجاع، وكُنيتُه صفتُه الثابتةُ الحقيقيَّةُ؛ فهو أبو الشُّجعان كلهم؛ سيِّدُهم وقائدُهم، يسوسُهم ويَرْأَسُهم ويَعْلوهم بقوَّته وعزَّته، فسماع اسمه يُثير فزَعًا عند خصومه، لِمَا رأَوْا من بأْسه في الحروب.

(٥) **يقولُ**: قدِ استَوْلى على الحمد كله واستحَقَّه بفضله، حتى لم يَبقَ لأحدٍ شيءٌ من الحمد وأجزائه.

(٦) **يقولُ**: عليه من الحمد سرابيلُ ظاهرةٌ مُضاعَفةٌ، وفي الحرب يكتفي بدرعٍ واحدٍ. =

وكيفَ أستُرُ ما أوْلَيْتَ من حَسَنٍ وقدْ غمَرْتَ نَوالًا أيُّها النَّالُ[١]

لطَّفْتَ رَأيَكَ في وَصْلي وتَكْرِمَتي إنَّ الكَريمَ على العَلْياءِ يَحْتالُ[٢]

حتَّى غدَوْتَ ولِلأخْبارِ تَجْوالٌ ولِلْكواكِبِ في كَفَّيْكَ آمالُ[٣]

وقدْ أطالَ ثَنائي طُولُ لابِسِه إنَّ الثَّناءَ على التِّنْبالِ تِنْبالُ[٤]

إنْ كنْتَ تَكبُرُ أنْ تَختالَ في بَشَرٍ فإنَّ قَدْرَكَ في الأقْدارِ يَخْتالُ[٥]

كأنَّ نفْسَكَ لا تَرْضاكَ صاحِبَها إلَّا وأنتَ على المِفْضالِ مِفْضالُ

ولا تَعُدُّكَ صَوَّانًا لمُهْجَتِها إلَّا وأنتَ لها في الرَّوْعِ بذَّالُ[٦]

= يعني: لا يرضى من الحمد إلا بالسرابيل المضاعَفة، ويَكْفيه في الحرب سِرْبالٌ واحدٌ. أي: أنه يتوَقَّى الذَّمَّ بأكثَرَ مما يتوَقَّى الحربَ. والماذيُّ: الدرعُ اللَّيِّنةُ.

(١) **رَجلٌ نالٌ**: أي كثيرُ النوال.
يقولُ: كيف أستُرُ أفضالَكَ، وقد أكثرْتَ عليَّ نوالَكَ وغمَرْتَني به، حتى لا يُمكنَني سترُه.

(٢) **يقولُ**: لطَّفْتَ رأيَكَ واحتَلْتَ في إحراز ثنائي ومدحي، وهذه عادة الكرام يتوَصَّلون إلى اكتساب المعالي بكل حيلةٍ.

(٣) **يقولُ**: لَمَّا تلطَّفْتَ في إكرامي، مدحتُكَ فجال ذِكرُكَ بين الناس، وطمِعَتِ النجومُ في نوالِكَ.
وهذان البيتان مدحَ أبو الطيبِ بهما نَفْسَه؛ يعني: أنَّ جميع الكائنات تَقْتَدي به، وتستمِعُ له، فلمَّا قَبِلَ عطاءَ أبي شُجاع رغِبَت الكواكبُ أنْ تُقلِّدَ هذا النجمَ الأوحَدَ ـ يعني نَفْسَه ـ فطمِعَت في عطاء الأمير كذلك.

(٤) **التِّنْبال**: القصيرُ، وعنى بطول لابِسه: طول السؤدُدِ والكرم. يُريد أنَّ شِعرَه شرُفَ بمدح الأمير الكريم الكامل الصفات؛ فإن الشِّعر إذا قيل في غير مُستحِقِّه شانَ وقصَّر وعِيبَ.

(٥) **يقولُ**: إن كنتَ ـ لتواضُعِكَ وانبساطِكَ ـ تأبَى أن تتكبَّرَ على البشَر؛ فإنَّ منزلتَكَ فيهم تختالُ وتتكبَّرُ دونَ أن تدريَ.

(٦) **يقولُ**: كأن نفْسَكَ تفوقُ كلَّ متفضِّل من الناس، ولا تَرْضى أن تكون صاحبَها حتى =

لولا المَشقَّةُ سادَ النَّاسُ كلُّهُمُ ... الجُودُ يُفْقِرُ والإقْدامُ قتَّالُ

وإنَّما يَبلُغُ الإنْسانُ طاقَتَه ... ما كلُّ ماشيةٍ بالرَّحْلِ شِمْلالُ(١)

إنَّا لَفي زَمنٍ تركُ القبيح به ... من أكثَرِ النَّاسِ إحْسانٌ وإجْمالُ(٢)

ذِكْرُ الفَتَى عُمْرُه الثَّاني، وحاجَتُه ... ما قاتَه وفُضولُ العَيشِ أشْغالُ(٣)



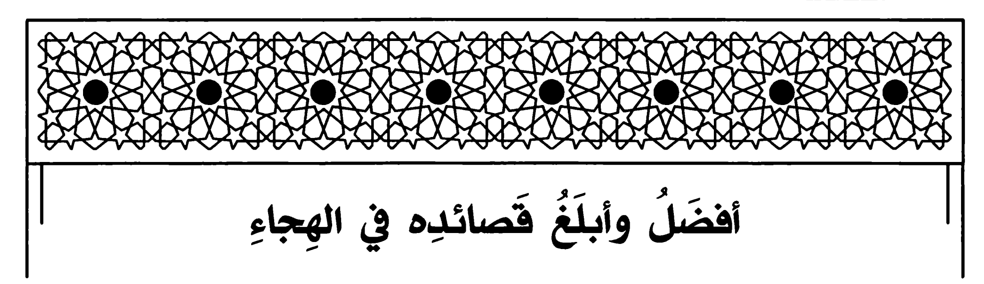
= تفضُلَ على كل ذي فضلٍ، ولا تراك حافظَها وصائنَها حتى تخوضَ بها غِمار المعارك، وتورِدَها مواردَ الخطر والهَلَكة.

(١) **الشِّملال**: الناقة السريعة الخفيفة. يعني: كلَّ أحد يسعى على قَدْر همَّته ومَبلَغ طاقته، وليس الناس سواءً، كما أنه ليس كلُّ ناقةٍ شِملالًا.

(٢) **يقولُ**: قد وصل الأمرُ بنا في هذا الزمان أنْ صار الإحسانُ في الناس مقتصِرًا على تَرْك القبيح، فمَنِ اجتنب القبائحَ؛ صار جميلًا كريمًا، فكيف بمَن أَوْلَى الجميلَ وفشَتْ في الناس نَعماؤُه؟!

(٣) **يقولُ**: ذِكْرُ الفتى جميلُ مساعيه، وما يُخلِّدُه من كَرَمه ومعاليه عُمرُه الثاني لعُمره، وخُلُقه من الدنيا المُبْقي لذِكْره، وحاجته فيما عدا هذا قوتٌ يبلغُه، وكفافٌ من العيش يسترُه. ومَن طلَب من الدنيا غيرَ ذلك؛ فإنه يتعلَّقُ بفضول شُغله، وأباطيل تموُّله، والمطلوب من الدنيا العفافُ والكَفافُ.

قال ابنُ جِنِّي: قد جمَعَ في هذا البيت ما يُعجِزُ كلَّ مَن يدَّعي الشِّعرَ والحكمةَ والكلامَ الشريفَ، فينبغي أن يُلحَقَ بالأمثال السائرة.



أفضَلُ وأبلَغُ قَصائدِه في الهِجاءِ

الغالِبُ في قَصائدِ أبي الطَّيِّبِ المَدحُ والثَّناءُ، ولكنْ قدْ يَنالُهُ ظُلمٌ وضَيمٌ، فيَكيلُ على مَن يَراهُ ظالِمًا له بوابِلٍ منَ السَّبِّ والشَّتمِ، بأفضَلِ أُسلوبٍ وأجمَلِ نَظْمٍ.

١ - قَصيدَتُه في كافورٍ، حينَ نهَضَ فلبِسَ نَعْلًا فرَأى أبو الطَّيِّبِ شُقوقًا برِجْلَيْه وقُبحَها فقال يَهْجوهُ، (ص٣٢٣):

أُريكَ الرِّضَا لو أَخْفَتِ النَّفْسُ خافِيًا ... ومَا أنا عن نَفْسي ولا عنكَ راضِيَا(١)

أمَـيْـنًـا وإخْـلافًـا وغَـدْرًا وخِـسَّـةً ... وجُبْنًا، أشَخْصًا لُحتَ لي أمْ مَخازِيَا(٢)

تـظُـنُّ ابْـتِـسـامَـاتـي رَجـاءً وغِـبْـطـةً ... ومـا أنـا إلَّا ضـاحِـكٌ مـن رَجـائِـيَـا(٣)

---

(١) **يقولُ**: إنني إن أخْفَتْ نَفسي ما بداخلها من بُغضكَ واحتقاركَ أُظهرُ لكَ الرضا والسرور بالمُقام معكَ، ولكنَّ هذا خلافُ ما أُكِنُّه لكَ، وإنني لا أرضى عنكَ ولا عن نفسي إذ أخْفَتْ موقفَها منكَ.

(٢) يتعجَّبُ الشاعر من جَمْع كافور تلك المساوئَ كلِّها؛ الكذب وإخْلاف الوعد والغَدْر والخِسَّة والجُبن. كيف تتمَثَّل كلُّ تلك المثالِب في شخص؟ يقولُ: جمعْتَ هذه المثالبَ، فإذا رأيتُكَ لم أدرِ أنكَ إنسانٌ، أم أنتَ مجموعةُ مخازٍ؟!

(٣) **يقولُ**: إذا رأيْتَني ضاحكًا حسبْتَ أني مسرورٌ بقُربكَ، راجٍ لفضلكَ، وليس كذلك، بل ذاك سخريةٌ بنَفْسي، أضحَكُ منها، كيف رجَّتْ منالَكَ مع لُؤمِكَ وخسَّتِكَ؟!

وتُعْجِبُني رِجْلاكَ في النَّعلِ، إنَّني رَأيْتُكَ ذا نَعلٍ إذا كُنْتَ حافيَا[١]
وأنَّكَ لا تَدْري ألَوْنُكَ أسْوَدٌ منَ الجَهلِ أمْ قدْ صارَ أبْيَضَ صافيَا
ولولا فُضولُ النَّاسِ جِئْتُكَ مادِحًا بما كنْتُ في سِرِّي به لكَ هاجيَا[٢]
فأصبَحْتَ مَسْرورًا بما أنا مُنشِدٌ وإنْ كانَ بالإنْشادِ هَجْوكَ غاليَا[٣]
ومِثلُكَ يُؤتى من بِلادٍ بَعيدةٍ ليُضحِكَ ربَّاتِ الحِدادِ البَواكيَا[٤]

۞ ۞ ۞

(١) **يقولُ**: أتعجبُ من لُبسكَ النعلَ في رِجْليكَ مع أنني أراكَ مُنتعلًا دائمًا، وإن كنتَ حافيًا. يتهَكَّمُ من غِلَظ رِجْليه وتَشقُّقها.

(٢) **يقولُ**: إنكَ من فَرْط جهلكَ تجهلُ حالَ نفسِكَ، وتجهل مبادئَ الأشياء، فلعلَّكَ لا تَدْري لونَ بشَرَته أهو أسودُ حالِكُ السواد، أم زَيَّنَه لكَ جهلُكَ أبيضَ ناصعًا؟ وإنني موقِنٌ بجهلِكَ حتى إنَّ نَفْسي لَتُسوِّلُ لي أن أُنشِدَكَ ما يُضمِرُ الهجاءَ وتَحسَبُه مدحًا، لولا مَن يحضُر مجلسَكَ من سائر الناس الذين قد يعلَمون مَقصِدي.

(٣) **يقولُ**: كنتَ تُسَرُّ بإنْشادي هَجْوَكَ! ظنًّا منكَ أنه مدحٌ، وإنْ كان هجوُكَ لا يَتَساوى بالإنْشاد.

(٤) **الحدادُ**: الثيابُ السُّودُ.

يقولُ: إنَّ مَن رآكَ يضحَكُ منكَ، حتى النساءُ اللابساتُ السوادَ في المصائب، إذا رأيْنَكَ يضحَكْنَ منكَ، ويتسلَّيْنَ عن غمِّهنَّ، وكل مَن عليه الحزن يقصدُكَ من الأماكن البعيدة؛ ليلهوَ عن حزنه.

٢ ـ وقال يَهْجوهُ في سنةِ خَمسينَ وثَلاثِ مائةٍ، وذلك قبلَ مَسيرِه من مِصرَ بيَومٍ واحِدٍ، (ص٣٢٦):

عـيـدٌ بـأيَّـةِ حـالٍ عُـدْتَ يـا عِـيـدُ ... بما مَضَى أمْ لأمْرٍ فيكَ تَجْديدُ(١)

أمَّـا الأحِـبَّـةُ فـالـبَـيْـداءُ دُونَـهُـمُ ... فـلـيْـتَ دونَـكَ بِـيـدًا دُونَـهـا بِـيـدُ(٢)

مـاذا لَـقـيـتُ مـنَ الـدُّنْـيـا وأعْـجَـبُـه ... أنِّي بـمـا أنـا بـاكٍ مـنـه مَـحْـسـودُ(٣)

إنِّـي نـزَلْـتُ بـكَـذَّابـيـنَ ضَـيْـفُـهُـمُ ... عنِ القِرَى وعنِ التَّرْحالِ مَحْدودُ(٤)

جُودُ الرِّجالِ منَ الأيْدي وُجودُهُمُ ... منَ اللِّسانِ فلا كانُوا ولا الجُودُ(٥)

ما يَقبِضُ المَوتُ نَفْسًا من نُفوسِهِمُ ... إلَّا وفـي يَـدِه مـن نَـتْـنِـهـا عُـودُ(٦)

---

(١) **كأنه قال**: هذا عيدٌ. ثم خاطَبَ العيدَ فقال: يا عيدُ، بأيَّة حالٍ عُدْتَ؟! هل عُدْتَ بما مضى من حالِكَ، أم فيكَ تجديدٌ لأمرٍ آخَرَ؟

(٢) **يقولُ**: بيني وبين أحبابي فلاةٌ بعيدةٌ، فما أصنَعُ بكَ مع البُعد عنهم؟! لأن الإنسان إنما يُسَرُّ بالعيد إذا كان معَه أحبَّتُه، فأما مع بُعدهم، فليتَ بَيْني وبينكَ فلواتٌ دونها فلواتٌ.

(٣) **يقولُ**: ما أعجبَ ما ألقاه من هذه الدنيا! وأعجبُ ما لقيتُ: أني أُحسَدُ على ما أبْكي منه! يريد كونَه عند الأسوَد وقُربه منه.

(٤) **يقولُ**: إني نزلْتُ على قومٍ كذَّابين، ضيفُهم ممنوعٌ من القِرى الذي يُعَدُّ للضيوف، وكذلك ممنوعٌ عن الرحيل، فلا يُضيِّفونه ولا يُخَلُّونَ سبيلَه.

(٥) **يقولُ**: عطاءُ الناس من الأيدي، وهو المال، وعطاءُ هؤلاء القوم الذين نزلتُ عليهم من الألسنةِ، وهو الوعدُ، ثم دعا عليهم فقال: لا كانوا ولا كان جودُهم.

(٦) **يقولُ**: إن الموتَ لا يُباشرُ أنفسَهم بيده عند قبضها، استِقْذارًا لها، بل يَنزِعُها من الجسد بعودٍ في يده توَقِّيًا من نَتْنِها.

أكُلَّما اغْتالَ عَبدُ السُّوءِ سيِّدَه ... أو خانَه فله في مِصْرَ تَمْهيدُ[١]

صارَ الخَصِيُّ إمامَ الآبِقينَ بهَا ... فالحُرُّ مُستَعبَدٌ والعَبدُ مَعْبودُ[٢]

لا تَشْتَرِ العَبدَ إلَّا والعَصَا مَعَه ... إنَّ العَبيدَ لأنْجاسٌ مَناكِيدُ

ما كنْتُ أحْسَبُني أحْيا إلى زَمنٍ ... يُسيءُ بي فيه كَلبٌ وهو مَحْمودُ[٣]

ولا تَوهَّمْتُ أنَّ النَّاسَ قدْ فُقِدوا ... وأنَّ مِثلَ أبي البَيْضاءِ مَوْجودُ[٤]

وأنَّ ذا الأسْوَدَ المَثْقوبَ مِشْفَرُه ... تُطْيعُه ذي العَضاريطُ الرَّعادِيدُ[٥]

جَوْعانُ يَأكُلُ من زادِي ويُمسِكُني ... لكيْ يُقالَ عَظيمُ القَدرِ مَقْصودُ[٦]

---

(١) **يقولُ**: كافورٌ اغتال سيِّدَه، أي: قتَلَه غِيلةً وجلس مكانَه، وهكذا كلُّ عبدٍ في مصرَ إذا خان مَوْلاه، أو قتَلَه ارتفع شأنُه عند الأَسوَدِ.

(٢) الهاءُ في بها لمصرَ.
يقولُ: لَمَّا ملَكَ كافورٌ مصرَ هرَبَ كلُّ عبدٍ من مَوْلاه، وانضمَّ إليه، فالحرُّ ذليلٌ كأنه عبدٌ، والعبدُ مخدومٌ بها مُعظَّمٌ.

(٣) الهاءُ في فيه للزمن.
يقولُ: ما ظننتُ أني أبْقى إلى زمن يُسيءُ بي في ذلك الزمان كلبٌ، وهو محمودٌ على إساءته لي، وأحتاجُ إلى مدحه معَ ذلك.

(٤) كانوا يقولون للأسوَدِ: أبا البيضاءِ؛ تَفاؤلًا أن يولَدَ له بِيضٌ، أو ربما للدَّلالة على بياض مَعدِنه وقلبِه، وربما كان استهزاءً كما هنا.
يقولُ: ما ظننتُ أن الناس يُفقَدونَ، ويَبْقى كافورٌ بعدَهم مع خِسَّة نَفْسه ودَناءة أصْله.

(٥) **المِشفَرُ**: الشَّفَةُ في الحيوان، والعضاريطُ: الأتْباعُ والخَدمُ واحدُها عُضْروطٌ، والرَّعاديدُ: الجبناءُ واحدُهم رِعْديدٌ.
يقولُ: لم أتَوهَّم أن هؤلاء السَّفَلة الأرذال تُطيع مثل هذا الأسودَ، حتى يجوزَ عليهم أمرُه، وأنه يحصُل له مثلُ هذا المُلك والتسلُّط عليهم. ووصَفَه بأنه مشقوقُ الشَّفَة؛ للدَّلالة على أنه من جُفاة السُّودان، وأصحاب الغَباوة وقُبح المنظَر.

(٦) **يقولُ**: قاسى في الجوع قلبُه الذي قاساه في عبوديَّته؛ فلهذا لا تسمح نفْسُه بالعطاء، =

مَن علَّمَ الأسْوَدَ المَخْصيَّ مَكْرُمةً   أقَوْمُهُ البِيضُ أمْ آباؤُهُ الصِّيدُ[(١)]

❁ ❁ ❁

= وهو مع ذلك يأكل من زادي، أي: يُطالِبُني بأن أمدحَه بشِعري. وإنما يُمسِكُني عنده ليُقال: إنه مقصودٌ يمدحه مِثْلي من الشعراء.

(١) **يقولُ**: من أين تعلَّم هذا الخَصيُّ الأسوَدُ المكارمَ؟! أتعلَّمَها من قومه البِيض الألوان الكرام؟ أو من آبائه الملوك؟ يعني: ليس له في الكرم أصلٌ، فكيف يَهْتَدي إلى فِعْل المكارم وإتْيان الجميل؟! يلوم نفْسَه لطلبه الغِنى عندَه، مع لُؤْم أصْله.

وهذه آخِرُ قَصيدةٍ قالها في كافور.



أَشْهَرُ أَبْيَاتِ الْمُتَنَبِّي

بَعدَ قِراءَتي لدِيوانِ المُتَنَبِّي كامِلًا، بتَمَهُّلٍ وتَمعُّنٍ، أُقدِّمُ أبرَزَ أبْياتِه الَّتي بلَغَتْ شَأنًا عَظيمًا في الجَمالِ والحِكْمةِ، أو عَكسِ ذلك، في انْحِطاطِها وبُلوغِ صاحِبِها منَ الخُنوعِ والتَّذلُّلِ تارةً، والتَّكَبُّرِ والغُرورِ تارةً أُخرى، والحَكَمُ العَدلُ في ذلك أَبْياتُه وقَصائدُه، الَّتي تُظهِرُ جَليًّا شَخصيَّتَه.

وقد قُمْتُ بتَقْسيمِ أشْعارِه على هذا النَّحوِ:

١ ـ حكمه التي سارت بها الركبان.

٢ ـ أبيات يُستشهَد بها لجمالها وبلاغتها.

٣ ـ المدح والتشبيه البديع.

٤ ـ المدح الذي فيه تذلل وتحقير لنفسه.

٥ ـ إعجابه بنفسه، ومدحه لنفسه، واحتقاره للناس.

٦ ـ طمعه وكثرة سؤاله للحكام صراحة وتلميحا.

٧ ـ أبيات تخالف العقيدة، والتي يصل بعضها إلى درجة الكفر بالله.

٨ ـ مما تصرف به من الكلمات والجمل للضرورة الشعرية.

٩ ـ كلمات انفرد بها المتنبي ـ من ناحية البناء والتصريف لا في أصل الكلمة.

١٠ ـ ملحوظات عامة على المتنبي.

أولًا: حِكَمُه الَّتي سارَتْ بها الرُّكْبانُ:

يزخر ديوان المتنبّي بالأبيات التي فيها الحِكَمُ الجميلة، والبَلاغةُ العجيبة، والفَصاحةُ النادرة، والذَّكاءُ وسُرعةُ البَديهةِ.

وهذه أمْثِلةٌ على ذلك:

ومَنْ يُنفِقِ السَّاعاتِ في جَمْعِ مالِهِ مَخافةَ فَقرٍ فالَّذي فَعَلَ الفَقرُ

ولا يَنفَعُ الإمْكانُ لولا سَخاؤُهُ وهلْ نافِعٌ لولا الأكفُّ القَنا السُّمرُ(١)

* * *

يَرى الجُبناءُ أنَّ العَجزَ فَخرٌ وتلك خَديعةُ الطَّبعِ اللَّئيمِ

وكلُّ شَجاعةٍ في المَرءِ تُغْني ولا مِثلَ الشَّجاعةِ في الحَكيمِ

وكمْ من عائبٍ قَولًا صَحيحًا وآفتُهُ مِنَ الفَهمِ السَّقيمِ

ولكنْ تأخُذُ الآذانُ منه على قَدْرِ القَرائحِ والفُهومِ

* * *

وما الحُسنُ في وَجهِ الفَتى شَرفًا له إذا لم يكُنْ في طَبعِه والخَلائقِ

وما بَلدُ الإنسانِ غيرُ الموافِقِ وما أهْلُه الأدْنَوْنَ غيرُ الأصادِقِ(٢)

---

(١) **يقولُ**: إنَّ المال والغنى لا قيمةَ له إلا بالإنفاق والسخاء، كما أنَّ الرماحَ لا عمَلَ لها إلا بالكفِّ التي تُطلِقُها وتُحسِنُ تصويبَها.

(٢) **يقولُ**: إنَّ بلد الإنسان إذا كانت غيرَ موافِقةٍ له في أخْلاقه وطباعه؛ فليستْ ببلده، كما أنَّ الأهلَ إنما همُ الذين أخْلَصوا محبَّتَهم لكَ دونَ غيرهم من أقاربِكَ.

وما يوجِعُ الحِرْمانُ من كفِّ حارمٍ كما يوجِعُ الحِرْمانُ من كفِّ رازقِ[(١)]

* * *

فـإنَّ الـجُـرْحَ يَـنْـفِـرُ بَـعـدَ حـيـنٍ إذا كـانَ الـبِـنـاءُ عـلـى فَـسـادِ[(٢)]

* * *

يَجْني الغِنى لِلِّئامِ لَوْ عَقَلُوا ما لَيس يَجْني عَلَيهِمُ العُدُمُ[(٣)]

هُـمُ لأمْـوالـهِـمْ ولَـسْـنَ لَـهُـمْ والعارُ يَبْقَى والجُرْحُ يَلْتَئِمُ[(٤)]

* * *

خَليلُكَ أنتَ لا مَن قُلتَ خِلِّي وإنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ والكَلامُ[(٥)]

---

(١) **يقولُ**: إنَّ إساءةَ الصدوقِ الوفيِّ إلى صديقه مُؤْلمةٌ أكثرَ من إساءة غيره؛ لأن الصديقَ اعتادَ مُصافاةَ صديقه وإحْسانه إليه، كما أنَّ الجوادَ إذا قطعَ عَطاءَه عن أحدٍ آلَمَه ذلك؛ لأنه اعتاد إحسانَه إليه، وإن كان ذلك المُحْسَنُ إليه لا يُؤْلِمه إمساكُ غير ذلك المحسِن.

(٢) **نفَرَ الجُرح**: إذا تورَّمَ وظهَرَ من أسفله فسادٌ.

يقولُ: إذا التأَمَ الجُرحُ طاويًا فسادًا تحتَه، فلا شكَّ أنه سيتورَّمُ ويظهَرُ غورُه بعد حين. ومقصودُه أن يُسارعَ في قَتْل الأعداء والتخلُّص منهم، ولا يركَن إلى صُلحهم؛ فإنهم أضْمَروا العداوة له، وإنْ أظهروا مُهادنةً وطَوعًا.

(٣) **يقولُ**: ربما جلب الغِنَى على صاحبه ما لا يجلبُه الفقرُ، وذلك أنَّ اللئيم إذا اغتنى فبخِلَ ذَمَّه الناسُ.

(٤) **يقولُ**: إنَّ الأموال هي التي تملِكُ أصْحابَها اللئامَ؛ فإنها تُتعِبُهم في جمعها وحِفظها، وتحبِسهم عن إنفاقها وبَذْلها. ثم أشار إلى أنَّ الجُرح وإن كان غائرًا فإنه يلتئمُ، أما العار فلا يلتئمُ مع مرور الزمان، بل يبقى على جبين صاحبه ما عاش.

(٥) **يقولُ**: ليس لكَ صديقٌ في الحقيقة إلا نفْسُكَ، فأنتَ صديقُ نفسِكَ، لا مَن تُسميه خليلًا، وإن كثُرَت مجاملتُه، وأظهرَ لكَ الوُد بالكلام.

وَلَوْ لَم يَعْلُ إلَّا ذو مَحَلٍّ تَعالى الجَيْشُ وانحَطَّ القَتَامُ[١]

وَلَوْ لَم يَرْعَ إلَّا مُسْتَحِقٌّ لِرُتْبَتِهِ أسامَهُمُ المُسَامُ[٢]

ومَنْ خَبِرَ الغَوانيَ فالغَواني ضِياءٌ في بَواطِنِهِ ظَلامُ[٣]

* *

وبِضِدِّها تَتَبَيَّنُ الأشْياءُ

* *

أشَدُّ الغَمِّ عِنْدي في سُرورٍ تَيَقَّنَ عَنهُ صاحِبُهُ انْتِقالَا[٤]

* * *

كُلُّ حِلْمٍ أتَى بغَيرِ اقْتِدارٍ حُجَّةٌ لاجِئٌ إلَيها اللِّئَامُ

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيهِ ما لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إيلامُ

* * *

ومَنْ يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَريضٍ يَجِدْ مُرًّا بهِ الماءَ الزُّلالَا

* * *

---

(١) **يقولُ**: لو كان علوُّ الناس وغناهم في الدنيا دَليلًا على رفعتهم واستحقاقهم لَما ارتفَعَ الغبارُ فوق الجيش.

(٢) **يقولُ**: لو لم يقُمْ برعاية الناس إلَّا مَن هو مُستحِقٌّ له، لوجَبَ أن تكونَ الرعيَّةُ هي الراعيَ، والأميرُ هو المَرْعيَّ؛ لأن في الرعيَّة من هو أشرَفُ من هؤلاء الرُّعاة. وهذا مَثَلٌ.

(٣) **الغواني**: النساءُ؛ لأنها غُنِيَت بحُسنها عن التجمُّل. يقولُ: مَن جرَّبَ النساء وعرَفَهنَّ، علِمَ أنَّهنَّ يُتعِبْنَ مَن يَصْبو إليهنَّ ويتعلَّقُ بهنَّ.

(٤) **يقولُ**: السرورُ الذي تيقَّنَ صاحبُه الانتقالَ عنه، هو عندي أشدُّ الغمِّ؛ لأنه يُراعي وقتَ زواله، فلا يَطيب له ذلك السرورُ.

أفاضِلُ النَّاسِ أغْراضٌ لَدى الزَّمَنِ   يَخْلُو مِنَ الهَمِّ أخْلَاهُم منَ الفِطَنِ

* * *

لا يُعْجِبَنَّ مَضيمًا حُسْنُ بِزَّتِهِ   وهَلْ تَرُوقُ دَفينًا جَوْدةُ الكفَنِ[1]

* * *

ما دُمْتَ من أرَبِ الحِسانِ فإنَّما   رَوْقُ الشَّبابِ علَيكَ ظِلٌّ زائِلُ[2]

* * *

وإذا أتَتْكَ مَذَمَّتي من نَاقِصٍ   فَهيَ الشَّهادَةُ لي بأنِّيَ كامِلُ

* * *

ومَنْ يُنفِقِ السَّاعاتِ في جَمْعِ مالِهِ   مَخافَةَ فَقْرٍ فالَّذي فَعَلَ الفَقْرُ

* * *

وأَسْتكبِرُ الأخْبارَ قبْلَ لِقائِه   فلمَّا التَقَيْنا صغَّرَ الخَبَرَ الْخُبْرُ[3]

* * *

ومن نَكَدِ الدُّنْيا على الحُرِّ أنْ يَرَى   عَدُوًّا لَهُ ما من صَداقَتِهِ بُدُّ

* * *

---

(١) **المَضيمُ**: المظلوم، والبزَّةُ: اللِّباسُ، يقولُ: لا ينبغي للمظلوم أن يُسَرُّ بسَعة حاله وسَعة رزقه، مع ما وقع عليه من الظلم؛ فإنه يُشبِهُ الميتَ الذي كفَّنوه في أطيب الأكفان وأنعمها؛ فإن ذلك لا يَسُرُّه ولا ينفَعُه.

(٢) **رَوْقُ الشباب**: أولُه وأفضلُه. يقولُ: ما دام للنساء الحِسان فيكَ حاجةٌ، فاعلَمْ أنكَ ما زلْتَ في نَضارة شبابكَ، واعلَمْ أنَّ ذلك إلى زوال.

(٣) **الخَبَر**: الإخبارُ بالشيء. والخُبْرُ: الاختبارُ.

يقولُ: كنتُ أستعظمُ ما أسمَعُه من ذِكْره، فلما رأيتُه، زاد الاختبارُ على الخَبَر، ووجدْتُه خيرًا مما كنتُ أسمَعُ.

هذا ضدُّ قولهم: تسمَعُ بالمُعَيْديِّ خَيرٌ من أن تَراهُ.

وأُكْبِرُ نَفْسي عَن جَزاءٍ بغِيبَةٍ ... وكلُّ اغتِيابٍ جُهدُ مَن ما لَهُ جُهدُ

* * *

وفي عُنُقِ الحَسْناءِ يُستَحسَنُ العِقدُ

* * *

إذا لم تكُنْ نَفْسُ النَّسيبِ كأصْلِهِ ... فماذا الَّذي تُغْني كِرامُ المَناصِبِ

* * *

وإذا كانَتِ النُّفُوسُ كِبارًا ... تَعِبَتْ في مُرادِها الأجْسامُ

* * *

إذا ما النَّاسُ جَرَّبَهُمْ لَبِيبٌ ... فإنِّي قَدْ أكَلْتُهُمُ وَذاقَا[1]

فَلَمْ أرَ وُدَّهُمْ إلَّا خِداعًا ... وَلم أرَ دِينَهُمْ إلَّا نِفَاقَا

* * *

إنَّ السِّلاحَ جَميعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ ... وَلَيسَ كلُّ ذواتِ المِخْلَبِ السَّبُعُ

* * *

بِذَا قضَتِ الأيَّامُ ما بيْنَ أهْلِها ... مَصائبُ قَوْمٍ عندَ قَوْمٍ فوائدُ

وكلٌّ يَرى طُرقَ الشَّجاعةِ والنَّدى ... ولكنَّ طَبعَ النَّفْسِ للنَّفْسِ قائِدُ

فإنَّ قَليلَ الحُبِّ بالعَقلِ صالحٌ ... وإنَّ كَثيرَ الحُبِّ بالجَهلِ فاسِدُ

* * *

(١) **يقولُ**: مَعرفتي بالناس أكثرُ من معرفة اللبيب المجرِّب؛ لأني كالآكِل وهو كالذائق، والآكِلُ أتمُّ معرفةً بالمأكول من الذائق.

وَفَتَّانَةَ العَيْنَينِ قَتَّالَةَ الهَوَى   إذا نَفَحَتْ شَيْخًا رَوَائِحُها شَبَّا

* * *

أرَى كلَّنَا يَبْغي الحَياةَ بسَعْيِه   حَريصًا عليها مُسْتَهامًا بها صَبَّا

فحُبُّ الجَبَانِ النَّفْسَ أوْرَدَهُ البَقَا   وَحُبُّ الشُّجاعِ النَّفْسَ أوْرَدهُ الحَرْبَا(١)

* * *

لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ   فرُبَّمَا صَحَّتِ الأجْسامُ بالعِلَلِ(٢)

* * *

لأنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لا تَكَلَّفُهُ   ليسَ التَّكَحُّلُ في العَينَينِ كالكَحَلِ(٣)

* * *

وَلَيسَ يَصِحُّ في الأفْهامِ شَيءٌ   إذا احتَاجَ النَّهارُ إلى دَليلِ(٤)

* * *

---

(١) **يقولُ**: إنَّ جميع الناس يُحبُّون الحياةَ، غيرَ أنَّ أفعالهم اختلفتْ في ذلك؛ فالجبانُ يُسَوِّل له حبُّ نفْسه الجُبنَ والتقاعُسَ فيَنْجو، والشجاع تُزينُ له نَفْسُه الإقدامَ والشجاعةَ فتورِدُه مواردَ الهَلَكة.

(٢) **يقول لسيف الدولة**: لعلِّي أحمَدُ عاقبةَ عَتْبكَ؛ وذلك أن أتأدَّبَ بعد عفوكَ فلا أعود إلى شيء أستوجبُ به العَتْبَ، كمَن يعتلُّ فربما تكون علَّتُه أمانًا له من أدواء غيرها، فيصحُّ جسمُه بعلَّته ممَّا هو أصعَبُ منه.

(٣) **يقولُ**: إنَّ الخصال التي تستقِرُّ في النَّفْس ليستْ كالتي يتكلَّفُ الإنسانُ الاتصافَ بها؛ فالحِلم الطبيعي لا يُشبِهُ تصنُّعَ ذلك، كما أنَّ وَضْعَ الكُحل في العينَيْن لا يَرْقى أبدًا إلى حُسن العيون الكَحْلاء خِلْقةً.

(٤) **يقولُ**: إذا احتاج الإنسانُ إلى دليلٍ على مُشاهَد مَلْموس؛ فقد ذهب عقلُه، ولا حاجةَ إلى إفْهامه وإقْناعه، فدَعْ عنكَ ذلك. كما قيل: مَن شكَّ في المشاهَدات؛ فليس بكامل العقل.

وَإطْراقُ طَرْفِ العَينِ لَيسَ بنافِعٍ إذا كانَ طَرْفُ القَلبِ ليسَ بمُطرِقِ

* * *

يَهُونُ عَلَيْنَا أنْ تُصابَ جُسُومُنَا وَتَسْلَمَ أعْراضٌ لَنَا وَعُقُولُ

* * *

إذا أنتَ أكْرَمْتَ الكَريمَ مَلَكْتَهُ وَإنْ أنْتَ أكْرَمْتَ اللّئيمَ تَمَرَّدَا

وَوَضْعُ النَّدى في مَوْضِعِ السَّيفِ بالعُلى مُضِرٌّ كوَضْعِ السَّيفِ في مَوْضِعِ النَّدى

* *

تَرَفَّقْ أيُّهَا المَوْلى عَلَيهِمْ فإنَّ الرِّفْقَ بِالجاني عِتَابُ(١)

* * *

وَجُرْمٍ جَرَّهُ سُفَهَاءُ قَوْمٍ وَحَلَّ بغَيرِ جارِمِه العَذابُ(٢)

* * *

آلَةُ العَيشِ صِحَّةٌ وَشَبَابٌ فإذا وَلّيَا عَنِ المَرْءِ وَلّى

* * *

إذا الجُودُ لم يُرْزَقْ خَلاصًا منَ الأذَى فَلا الحَمْدُ مَكْسوبًا وَلا المالُ باقِيَا(٣)

---

(١) **يقولُ**: ارفُقْ بهم وإنْ جنَوْا؛ فإن مَن رفَقَ بمَن جنى عليه؛ كان ذلك الرفق عتابًا؛ وذلك أن الرفقَ بالجاني والصفحَ عنه يجعله عبدًا لكَ، كما قال: وما قتلُ الأحرار كالعفو عنهم.

(٢) **يقولُ**: كم جُرمٍ جناهُ السفهاء فنزَلَ العذابُ بغير مَن جنى.

(٣) شبَّهَ (لا) بـ(ليس) في نَصْب الخبر؛ فلهذا نصَبَ مَكسوبًا وباقيًا.

يقولُ: إذا لم يكنِ الجودُ خالصًا من الأذى، وما يُكدِّرُه من المَنِّ والتكدير، فلم يكسب فاعلُه حمدًا، وذهب مالُه هدرًا. وهذا تعريضٌ بسيف الدولة.

وَللنَّفْسِ أخْلاقٌ تَدُلُّ على الفَتى أكانَ سَخاءً ما أتَى أمْ تَسَاخِيَا[(١)]

* * *

فلا يَنحَلِلْ في المَجدِ مالُكَ كلُّه فيَنحَلَّ مَجدٌ كانَ بالمالِ عَقدُهُ[(٢)]

ودَبِّرْه تَدْبيرَ الَّذي المَجدُ كفُّه إذا حارَبَ الأعْداءَ والمالُ زَنْدُهُ[(٣)]

فلا مَجدَ في الدُّنْيا لمَن قَلَّ مالُه ولا مالَ في الدُّنْيا لمَن قلَّ مَجدُه[(٤)]

* * *

وما الصَّارِمُ الهِنْديُّ إلَّا كغَيرِه إذا لم يُفارِقْه النِّجادُ وغِمدُه[(٥)]

* * *

إذا ساءَ فِعلُ المَرْءِ ساءَتْ ظُنونُه وصَدَّقَ ما يَعْتادُه مِن تَوَهُّمِ[(٦)]

---

(١) **يقولُ**: لكل إنسانٍ أخلاقٌ يُستدَلُّ بها على ما يأتيه من الجود، هل هو طبيعيٌّ أو تكلُّفيٌّ؟ فيُعرَف حالُه.

(٢) هذا نهيٌ عن تبذير المال والإسراف في إنفاقه، يقولُ: لا يذهبَنَّ مالُكَ كلُّه في طلب المجد؛ لأن من المجد ما لا يُعقَدُ إلَّا بالمال، فإذا ذهب مالُكَ كلُّه انحلَّ ذلك المجدُ الذي كان يُعقَدُ بالمال، فينبغي أن تقتصِدَ في العطاء، وتدَّخِرَ المالَ لتُطيعَكَ الرجالُ، فتنال العُلى وتصِل إلى الشرف.

(٣) **يقولُ**: دبِّر المال تدبيرَ الرجل الذي المجدُ كفُّه، والمال زَندُه: يعني كما لا تقومُ الكفُّ إلَّا بالزَّند، فكذلك لا تُقهَرُ الأعداءُ إلا بالمال.

(٤) **يعني**: كما لا يقوم المجدُ من دون المال، كذلك المالُ لا ينفَعُ إلا مع المجد.

(٥) **نِجادُ السيف**: حمائلُه.

يقول لكافور: لا فضلَ بيني وبيْنَ غيري إذا لم تُجرِّبْني، كما لا فضلَ بيْنَ السيف الهندي القاطع، وبيْنَ غيره من السيوف إذا لم يُجَرَّدْ من غِمده ويُختَبر حدُّه.

(٦) **يقولُ**: إذا ساء فعلُ المرء فيما يُقدِّمه، وسبَقَ منه المكروهُ فيما يتقلَّده، ساءت ظنونُه في مُقارَضَته على فعله، ومُجازاته على الظُّلم بمثله، وصدق في ذلك ما يعِنُّ له من الأوهام الخاطرة، والظنون السيِّئة العارضة.

وعَادَى مُحبِّيه بقَوْلِ عُدَاتِه وأصبَحَ في لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظلِمِ[١]

وأحلُمُ عن خِلِّي وأعلَمُ أنَّه مَتَى أَجْزِهِ حِلْمًا عنِ الجَهلِ يَندَمِ[٢]

* * *

وما كلُّ هاوٍ للجَميلِ بفاعِلٍ ولا كلُّ فَعَّالٍ له بمُتمِّمِ[٣]

* * *

لِمَنْ تَطلُبُ الدُّنْيا إذا لم تُرِدْ بها سُرورَ مُحِبٍّ أو مَساءةَ مُجرِمِ[٤]

* * *

وَإذا الحِلْمُ لَمْ يَكُنْ عن طِباعٍ لم يَكُنْ عَن تَقَادُمِ المِيلادِ[٥]

* * *

وكلُّ مَكانٍ يُنبِتُ العِزَّ طيِّبُ

* * *

وأَظلَمُ أهْلِ الظُّلمِ مَن باتَ حاسِدًا لِمَن باتَ في نَعْمائِهِ يَتَقلَّبُ

* * *

---

(١) **يقولُ**: إن ذلك الإنسان إذا ساءت أفعالُه؛ صار في حَيْرة وجهل، فيُعادي أولياءَه بقول أعدائه، ويُوالي مَن يُبغضه، ويَتنكَّر ممَّن أحسَنَ إليه.

(٢) **يقولُ**: إذا جهِل عليَّ خليلي حلُمْتُ، وعلِمْتُ أني إذا قابلْتُه بالحِلم ندِم على ما بدَرَ منه، وعاد إلى الوَصْل.

(٣) **يقول لكافور**: ليس كلُّ مَن يحبُّ الفعلَ الجميلَ يفعَلُه، ولا كلُّ مَن يفعَلُه يُتمِّمُه ويُربيه. كأنه يُعَرِّض بسيف الدولة: أنه لم يُتمِّمْ إحسانَه.

(٤) **يقولُ**: إن الحياة لا طائلَ من ورائها إلا أنْ يُسعد المرءُ بها مُحبِّيه ويضُر أعداءَه.

(٥) **يقولُ**: إذا لم يكُن الرجل مطبوعًا على الحِلم، فمرور الأيام وطول العُمر لا تجعله حليمًا.

يعني: لا اعتبارَ بالسنِّ، وإنما الاعتبارُ بالطبع.

وقدْ يَترُكُ النَّفسَ الَّتي لا تَهابُه ... ويَختَرِمُ النَّفسَ الَّتي تَتهيَّبُ[(١)]

* * *

أعَزُّ مَكانٍ في الدُّنَى سَرْجُ سابِحٍ ... وَخَيرُ جَليسٍ في الزَّمانِ كِتابُ[(٢)]

* * *

لا يُدرِكُ المَجدَ إلَّا سَيِّدٌ فَطِنٌ ... لِمَا يَشُقُّ عَلى السَّاداتِ فَعَّالُ

* * *

لَوْلا المَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمُ ... الجُودُ يُفْقِرُ وَالإقْدامُ قَتَّالُ

وَإنَّمَا يَبْلُغُ الإنْسانُ طَاقَتَهُ ... مَا كُلُّ ماشِيَةٍ بالرَّحْلِ شِمْلالُ[(٣)]

إنَّا لَفي زَمَنٍ تَرْكُ القَبيحِ بِهِ ... من أكثَرِ النَّاسِ إحْسانٌ وَإجْمالُ

ذِكْرُ الفَتَى عُمْرُهُ الثَّاني وَحاجَتُهُ ... مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ العَيشِ أشْغَالُ[(٤)]

---

(١) **فاعلُ يترك ويخترم**: ضميرٌ يعود على الموت.

يقولُ: قد ينجو من الموت مَن لا يخاف منه، وقد يُصيب الموتُ مَن يحذَرُ منه، فيخترمه.

(٢) **الدُّنى**: جمعُ الدُّنيا، جعل كلَّ مكان فيها دُنيا، ثم جمَعَه.

يقولُ: أعزُّ مكان في الدنيا سَرجُ فرسٍ سابحٍ؛ لأن الشجاع إذا ركبَه امتنَعَ، وخيرُ جليس في الزمان كتابٌ؛ لأنكَ لا تَخْشى غوائلَه ويؤدِّبُكَ بآدابه، ويؤنِسُكَ عند الوَحْشة بحِكَمه.

(٣) **الشِّمْلالُ**: الناقةُ السريعةُ الخَفيفةُ. يعني: كلَّ أحدٍ يَسْعى على قَدْر همَّته ومبلَغ طاقته، وليس الناسُ سواءً، كما أنه ليس كلُّ ناقةٍ شِملالًا.

(٤) **يقولُ**: ذِكْر الفتى جميلُ مساعيه، وما يُخلِّدُه من كَرَمه ومعاليه عُمرُه الثاني لعُمره، وخُلُقُه من الدنيا المُبقي لذِكْره، وحاجتُه فيما عدا هذا قوتٌ يُبلِّغُه، وكَفافٌ من العيش يَستُرُه. ومَن طلب من الدنيا غيرَ ذلك؛ فإنه يتعلَّقُ بفضول شُغله، وأباطيل تموُّله، والمطلوبُ من الدنيا العفافُ والكفافُ. =

مَنِ اقْتَضى بسِوى الهِنْديِّ حاجَتَه أجَابَ كُلَّ سُؤالٍ عن هَلٍ بِلَمِ[١]

* * *

ولـم تَـزَلْ قـلَّـةُ الإنْـصـافِ قـاطِـعـةً بيْنَ الرِّجالِ ولَوْ كانُوا ذَوي رَحِمِ[٢]

* * *

ولا تَـشَـكَّ إلـى خَـلْـقٍ فـتُـشْـمِـتَـه شَكْوى الجَريحِ إلى الغِرْبانِ والرَّخَمِ[٣]

وكُـنْ عـلـى حَـذَرٍ لـلـنَّـاسِ تَـسـتُـرُه ولا يَـغُـرَّكَ مِـنْـهـم ثَـغْـرُ مُـبـتَـسِـمِ[٤]

* * *

وَمَـنْ جَـهِـلَـتْ نَـفْـسُـهُ قَـدْرَهُ رَأى غَـيْـرُهُ مِـنْـهُ مَـا لا يَـرَى[٥]

* * *

= قال ابن جِنِّي: قد جمعَ في هذا البيت ما يَعجِزُ كلُّ مَن يدَّعي الشِّعرَ والحكمةَ والكلامَ الشريفَ، فينبغي أن يُلحَقَ بالأمثال السائرة.

(١) فاعلُ أجابَ ضميرُ مَن.

يقولُ: مَن طلب حاجتَه بغير السيف لم يظفَرْ بها، فإذا سأله إنسانٌ وقال له: هل أدركتَ حاجتَكَ؟ قال له: لم أُدركْها.

(٢) **يقولُ**: إنَّ قلةَ الإنصاف وقُبحَ المعاملة مُوجِبةٌ للقَطيعة بيْنَ الناس، وإن كانتْ بيْنَهم أواصِرُ القُرْبى والرَّحِم.

(٣) **يقولُ**: لا تشكُ لأحدٍ حالَكَ؛ فإنه يشمَتُ بحلول المكروه بكَ. فصرْتَ كالجريح يَشْكو ما به إلى الغِرْبان والرَّخَم؛ فإنَّها تتمَنَّى موتَه لتأكُلَ لحمَه.

(٤) الهاءُ في تستُرُه للحَذَر.

يقولُ: احذَرْ من الناس واستُرْ حِذرَكَ منهم؛ لأنَّكَ إذا أظهرْتَه جاهَروكَ بالعَداوة، ولا تغتَرَّ بابتسامهم في وجهكَ.

(٥) **يقولُ**: مَن أُعجِبَ بنفْسه ولم يعرِفْ قَدْرَ نفْسِه إعْجابًا وذَهابًا في شأنه: خَفِيَتْ عليه عيوبُه، فاستحسَنَ من نَفْسه ما يستقبِحُه غيرُه، وعَميَ عمَّا يراه غيرُه من عيوبه.

إذا اشتَبَهَتْ دُموعٌ في خُدودٍ تَبيَّنَ مَن بَكَى ممَّن تَباكَا[(١)]

والهَمُّ يَختَرِمُ الجَسيمَ نَحافةً ويُشيبُ ناصيةَ الصَّبيِّ ويُهرِمُ[(٢)]

ذو العَقلِ يَشْقى في النَّعيمِ بعَقْلِه وأخو الجَهالةِ في الشَّقاوةِ يَنعَمُ[(٣)]

والنَّاسُ قد نَبَذوا الحِفاظَ فمُطلَقٌ يَنْسى الَّذي يُولي وعافٍ يَندَمُ[(٤)]

لا يَسلَمُ الشَّرفُ الرَّفيعُ منَ الأذَى حتَّى يُراقَ على جَوانِبِه الدَّمُ[(٥)]

وَالظُّلمُ من شِيَمِ النُّفوسِ فإنْ تَجِدْ ذا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لا يَظْلِمُ[(٦)]

---

(١) **يعني**: أن الذي يبكي بوَجْد وحُرْقة قلبٍ يظهَرُ ممَّن يتكلَّف البكاءَ رياءً، وإن اشتبهت دموعُهما في جَرَيانها على الخدود.

(٢) **يقولُ**: إن الهمَّ يُذيب الجسمَ ويَنقُصُه، حتى يموت الجسم نحافةً، ويدبُّ الشيبُ في رأس الغلام وتخورُ قواه.

(٣) **يريد**: أن العاقل يَشْقى وإن كان في نِعمة؛ لتفكُّره في عاقبة أمرِه، وعلمه بتحوُّل الأحوال، والجاهل ينعَمُ في الشقاوة؛ لغفلته وقلَّة تفكُّره في العواقب.

(٤) **يولي أي**: يُعْطي.
يقولُ: إن الناس تُنكر مراعاة الحقوق والذِّمَم، فالمنعَم عليه ينسى يدَ المنعِم فلا يشكر نِعمه، حتى إنَّ أصحاب الفضل والعفو يندَمون على ما فعلوا بسبب كفرانها.

(٥) **يقولُ**: لا يسلَمُ الشريفُ من أذى الأعداءِ حتى تكون له شوكة تكسِر أنوفَ أعدائه وتُريق دماءَهم؛ فإنه حينَئذٍ يكون مَهيبًا يَخْشى الناسُ غَضْبَتَه فيَسلَم.
قال ابن جِنِّي: أشهَدُ بالله لو لم يقُلْ إلَّا هذا البيتَ لوجَبَ تَقَدُّمُه.

(٦) **يقولُ**: إن الإنسانَ طُبعَ على الظُّلم، ومَن لا يظلِم فلعلَّةٍ تمنَعُه من ذلك؛ إما عجزٌ، أو خوفٌ، أو دِينٌ، فلو خُلِّي وطبعَه لاستَعْلى على مَن هو دونَه.
قلتُ: وقد تبايَنَتْ آراءُ الناس في هذا البيت، فأنكره بعضُهم، قال الأديب علي الطَّنطاوي: هذا الذي قاله كذبٌ؛ لأن من شِيَم النفوس العدلَ لا الظلمَ، والخيرَ لا الشرَّ، والإيمانَ لا الكفرَ؛ هذه هي الفطرةُ التي فطَرَ اللهُ الناسَ عليها. ا.هـ ذكريات ـ علي الطنطاوي (٦/٣٠٨).
وبعضُهم رأى صحَّة كلامه؛ قال العلَّامة محمد رشيد رضا: وَقَدْ كُنْتُ أُنْكِرُ عَلَى =

كَثيرُ حَيَاةِ المَرْءِ مِثْلُ قَليلِهَا يَزولُ وباقي عَيْشِهِ مِثْلُ ذاهِبِ[١]

✽ ✽ ✽

إذا قيلَ رِفقًا قالَ: للحِلمِ مَوْضِعٌ وَحِلْمُ الفَتَى في غَيرِ مَوْضِعِه جَهْلُ[٢]

❁ ❁ ❁

= أَبِي الطَّيِّبِ قَوْلَهُ، وَأَعُدُّهُ مِنَ الْمُبَالَغَةِ الشِّعْرِيَّةِ حَتَّى كِدْتُ بَعْدَ إِطَالَةِ التَّأَمُّلِ فِي أَحْوَالِ الْوَالِدَيْنِ مَعَ الْأَوْلَادِ، وَتَدَبُّرِ مَا أَحْفَظُ مِنَ الْوَقَائِعِ فِي ذَلِكَ؛ أَجْزِمُ بِأَنَّ قَوْلَهُ هَذَا صَحِيحٌ مُطَّرِدٌ، فَكَمْ رَأَيْنَا مِنْ غَنِيٍّ قَدِ انْغَمَسَ فِي التَّرَفِ وَالنَّعِيمِ، وَأَفَاضَ مِنْ فَضْلِ مَالِهِ عَلَى الْمُسْتَحِقِّينَ، وَغَيْرِ الْمُسْتَحِقِّينَ، وَلَهُ مِنَ الْوَلَدِ مَنْ يَعِيشُ فِي الْبُؤْسِ وَالضَّنْكِ، وَلَا يَنَالُهُ مِنْ وَالِدِهِ لَمَاجٌ وَلَا مُجَاجٌ مِنْ ذَلِكَ الرِّزْقِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَرْضَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ كَعَبْدِ الرِّقِّ. تفسير المنار ٥/٧٦.

(١) **يقولُ**: غايةُ الإنسان الموتُ، طالَتْ حياتُه أم قصُرَتْ، وعيشُه الباقي إلى نفادٍ، مثل عيشه الماضي، فلمَ أخافُ الموتَ وأحمِلُ الضَّيمَ والذلَّ؟

(٢) **يقولُ**: إذا قيل له في الحرب: ارفُقْ! قال: للحلم موضعٌ، وليس هذا موضِعَه. وحِلمُ المرء في غير موضعِه جهلٌ.

ثانيًا: أبْياتٌ يُستَشهَدُ بها لجَمالِها وبَلاغَتِها:

أمَـا تَـغـلَـطُ الأيَّـامُ فـيَّ بـأنْ أرَى   بَغيضًا تُنائي، أو حَبيبًا تُقرِّبُ[١]

* * *

وَمَا أنَا بالبَاغِي على الحُبِّ رِشْوةً   ضَعيفُ هَوًى يُبْغى عليه ثَوابُ

* * *

إذا أتَـتِ الإسَـاءَةُ مِـنْ وَضِـيـعٍ   وَلـم ألُـمِ الـمُـسِـيءَ فَـمَـنْ ألُـومُ

* * *

وَمَا أنَا مِمَّنْ يَدَّعي الشَّوْقَ قَلبُهُ   وَيَحْتَجُّ في تَرْكِ الزِّيارَةِ بالشُّغلِ

* * *

وَكَـانَ ابْـنـا عَـدُوٍّ كَـاثَـرَاهُ   لَـهُ يَـاءَيْ حُـرُوفِ أُنَـيْـسِـيَـانِ[٢]

* * *

وَكَـانَ مَـنْ عَـدَّدَ إحْـسَـانَـهُ   كـأنَّـمَـا أفْـرَطَ فـي سَـبِّـهِ

* * *

(١) **يقولُ**: من عادة الأيام أنها تقرِّبُ البغيضَ، وتُبعد الحبيبَ، فلمَ لا تغلطُ مرةً فتقرِّبُ الحبيبَ وتُبعد البغيضَ؟

(٢) **أُنَيْسِيَانِ**: تصغيرُ إنسانٍ. يريد أنَّ بعض الكثرة تضُرُّ ولا تنفَعُ، كما أن الزيادة على كلمة إنسان بحرفَي التصغير تُحقِّر معناه وتُضعِفُه.

يَدْعو الشاعر على أعداء الممدوح بأن لا يزيدَهم أولادُهم إلا نقصًا وخسَّةً، وقيل: بل يذكُر أنَّ أعداءَ الممدوح وإنْ كثُروا وتناسلوا ساقِطون عن قَدْر الممدوح، فلا تنفَعُهم أولادُهم إلا نقصًا.

ثالثًا: التَّشبيهُ البَديعُ:

للمُتَنَبِّي أبْياتٌ يَتعجَّبُ كلُّ قارئٍ لها كيفَ استَطاعَ سَبْكَها، وكيف قدر على نَظْمها وحَبْكها، فهي بَليغةٌ في التَّشْبيهِ والتَّوْصيفِ، وغَزيرةُ المَعاني قَويَّةُ المَباني.

وهذه أمْثِلةٌ على ذلك:

كأنَّ نِقابَها غَيْمٌ رَقيقٌ يُضِيءُ بمَنْعِهِ البَدْرَ الطُّلُوعَا

* * *

قَوْمٌ بُلُوغُ الغُلامِ عِنْدَهُمُ طَعنُ نُحورِ الكُماةِ لا الحُلُمُ[1]

* * *

لوْ حَلَّ خاطِرُهُ في مُقْعَدٍ لمَشَى أو جاهِلٍ لصَحَا أو أخْرَسٍ خَطَبَا

إذا بَدا حَجَبَتْ عَيْنَيكَ هَيْبَتُهُ وليسَ يَحجُبُهُ سِترٌ إذا احتَجَبَا[2]

بَياضُ وَجْهٍ يُريكَ الشَّمسَ حالِكةً ودُرُّ لَفظٍ يُريكَ الدُّرَّ مَخْشَلَبَا[3]

* * *

---

(١) **يقولُ**: هم قومٌ لا يعتبرون بلوغ صبيانهم مرحلةَ الرُّشد والشباب إلا إذا حملوا السلاحَ، واحتملوا شدةَ الحرب، وطاعنوا الفُرسان والشُّجعان، فأما مجردُ الإنبات والاحتلام؛ فليس ذلك مُعتَبَرًا عندهم.

(٢) يريد أنه شديدُ الهيبة، إذا ظهر للرَّائين حجبت هيبتُه عيونَهم عن النظر إليه. وقوله: ليس يحجبه سترٌ، يريد أن نور وجهه يغلبُ الستورَ، فيلوحُ من ورائها. وذكَرَ ابن جِنِّي تأويلَين آخرَين أحدُهما: أن حِجابَه قريبٌ لِما فيه من التواضُع، فليس يقصرُ أحدٌ أرادَه دونَه، وإن كان محتجِبًا، والآخَرُ: أنه وإن احتجَبَ فهو كَلَا محتجِبٍ؛ لشدَّة تيقُّظه ومُراعاته للأمور.

(٣) هذا البيت يدُلُّ على المعنى الأول فيما قبلَه، والمَخْشَلَبُ هو الخرزُ المعروفُ. =

يَروعُ رَكانَةً ويَذوبُ ظَرْفًا فَما يُدرَى أَشَيْخٌ أَمْ غُلامُ[١]

وتَمْلِكُهُ المَسائِلُ في نَداهُ وأمَّا في الجِدالِ فلا يُرامُ[٢]

وقَبضُ نَوالِهِ شَرَفٌ وعِزٌّ وقَبضُ نَوالِ بعضِ القَومِ ذامُ

* * *

أُسْدٌ فَرائِسُها الأُسودُ يَقودُها أُسدٌ تَصيرُ لهُ الأُسودُ ثَعالِبَا

كالبَدْرِ من حَيثُ التَفَتَّ رَأَيْتَهُ يُهْدِي إلى عَيْنَيْكَ نُورًا ثاقِبَا

كالبَحْرِ يَقذِفُ للقَريبِ جَواهِرًا جُودًا ويَبْعَثُ للبَعيدِ سَحائِبَا

كالشَّمسِ في كَبِدِ السَّماءِ وضَوْؤُها يَغْشَى البِلادَ مَشارِقًا ومَغارِبَا

خُذْ مِنْ ثَنَايَ عَلَيْكَ ما أسْطِيعُهُ لا تُلْزِمَنِّي في الثَّناءِ الواجِبَا[٣]

* * *

ويُقْدِمُ إلَّا عَلى أنْ يَفِرَّ ويَقْدِرُ إلَّا عَلى أنْ يَزيدَا[٤]

* * *

= يشبِهُ الدرَّ من حجارة البحر وليس بِدُرٍّ. والمعنى: أن نوره يغلبُ نورَ الشمس حتى تُرى كأنها سوداءُ، ولفظُه أحسَنُ من الدرِّ.

(١) **يروعُ**: يَفزَعُ، والرَّكانةُ: الوَقارُ، ورجلٌ ركينٌ: وَقورٌ. يعني أنه جمَعَ بينَ وقار الشيوخ وظَرافة الفِتْيان.

(٢) يريدُ أنه مُنقادٌ لسؤال مَن سأله، جَدِلٌ صعبٌ لا يُرامُ عند المسائل في الجِدال، والمعنى: أن المسائلَ الواردةَ عليه من جهة السؤال تملِكُه حتى لا يمكنُه ردُّ مسألة منها بالخَيْبة، فأما المسائل في الجدال؛ فإنه لا يُطاق فيها.

(٣) **يقولُ**: سامِحْني في الثناء عليكَ؛ فإني لستُ أقدِرُ أن أُثنيَ عليكَ بقَدْر استحقاقِكَ.

(٤) **يقولُ**: هو يُقدِمُ على كل عظيمٍ إلا على الفرار؛ فإنه أهولُ عندَه من كل هَوْل، ويقدِرُ على كل صعبٍ إلا على أن يَزيد على ما هو عليه من جلال القَدْر والمحل؛ فإنه لا نهايةَ له وراءَه.

وكَفَتْكَ الصَّفائِحُ النَّاسَ حتَّى   قد كَفَتْكَ الصَّفائحَ الأقْلامُ[١]
وكَفَتْكَ التَّجارِبُ الفِكْرَ حتَّى   قَدْ كَفاكَ التَّجارِبَ الإلْهَامُ[٢]
فارِسٌ يَشتَري بِرازَكَ للفَخْـ   ـرِ بقَتْلٍ مُعَجَّلٍ لا يُلامُ[٣]

* * *

قُلْ فَكَمْ مِنْ جَواهرٍ بنِظامٍ   وُدُّها أنَّها بفِيكَ كَلامُ

* * *

يا صائِدَ الجَحْفَلِ المَرْهوبِ جانِبُهُ   إنَّ اللُّيوثَ تَصيدُ النَّاسَ أُحْدانَا[٤]

* * *

قَسَا فالأُسْدُ تَفْزَعُ مِن يَدَيْهِ   وَرَقَّ فنَحنُ نَفزَعُ أنْ يَذوبَا
أشَدُّ منَ الرِّياحِ الهُوجِ بَطشًا   وأسرَعُ في النَّدى منها هُبُوبَا

* * *

ولَوْلا احتِقارُ الأُسدِ شَبَّهتُهمْ بها   ولكِنَّها مَعْدودَةٌ في البَهائِمِ

* * *

---

(١) **يقولُ**: هاب الناسُ سيوفَكَ فكفُّوا عنكَ، ولم تحتَجْ إلى قتالهم، ثم صِرْتَ إلى أن كفتْكَ الأقلامُ السيوفَ لما استقرَّ لكَ من الهيبة في القلوب.

(٢) **يقولُ**: قد جربْتَ الأمورَ وعرفْتَها حتى لا تحتاجَ إلى التفكُّر فيها، ثم صرْتَ مُلْهَمًا يُلهمُكَ اللهُ الصوابَ، حتى كفاكَ إلْهامُ الله تعالى التجاربَ.

(٣) **يقولُ**: مَنِ اشترى نفاسةَ ما يكتسبُه من الفخر بكونه قِرْنًا لكَ، بأن تُعَجِّلَ قتلَه، لم يُلَمْ على ذلك؛ لأنكَ وإن قتلْتَه؛ فقد استحقَّ الفخرَ بأن يُقال: قدَرَ على مبارزتِه.

(٤) **أُحدان** جمعُ واحدٍ وأصْله وُحْدان، يقولُ: أنت تصيدُ الجيشَ كلَّه، والليث يصيدُ واحدًا فواحدًا.

وقولُه وهو يَرْثي والِدةَ سَيفِ الدَّوْلةِ ويُعَزِّيه عنهَا في سنةِ سَبعٍ وثَلاثينَ وثَلاثِ مائةٍ:

ولَوْ كانَ النِّساءُ كمَنْ فَقَدْنا   لفُضِّلَتِ النِّساءُ على الرِّجالِ(١)

وما التَّأْنيثُ لاسمِ الشَّمسِ عَيبٌ   ولا التَّذْكيرُ فَخرٌ للهِلالِ(٢)

* * *

فإنْ تَفُقِ الأنامَ وأنْتَ مِنهُمْ   فإنَّ المِسْكَ بَعضُ دَمِ الغَزالِ(٣)

* * *

يا أيُّها القَمَرُ المُباهي وَجهَهُ   لا تُكذَبَنَّ فلسْتَ من أشْكالِهِ(٤)

* * *

مَن كانَ فوْقَ مَحلِّ الشَّمسِ مَوْضِعُه   فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيءٌ وَلا يَضَعُ(٥)

* * *

وَقَدْ تَقبَلُ العُذْرَ الخَفيَّ تَكرُّمًا   فَما بالُ عُذْري واقِفًا وَهوَ وَاضِحُ

* * *

---

(١) **يقولُ**: لو كانت نساءُ العالم في الكمال كهذه: لفُضِّلْنَ على الرجال، يعني أن هذه كانت أفضلَ من الرجال، فلو أشبَهَها غيرُها من النساء؛ لكانت مثلَها في الفضل.

(٢) **يقولُ**: لم تُزْرِ بها الأنوثةُ، كما لا يُزري بالشمس تأنيثُ اسمها، والذكورةُ لا تُعَدُّ فضيلةً في كل أحد، كما لا يحصُلُ للقمر فخرٌ بتذكير اسمه.

(٣) **يقولُ**: ليس مُستبعَدًا ولا مُستغرَبًا أن تسبِقَ الناسَ وتفوقَهم وأنتَ واحدٌ من بني جنسهم؛ فإنَّ المسكَ من دم الغزال، ولا مقارنةَ بيْنَهما؛ فالمسكُ يفوقُ دمَ الغزال كثيرًا.

(٤) يتمدَّحُ الشاعر في سيف الدولة، فيقول للقمر: إياكَ أن تستمعَ لكذب الناس حين يُشبِّهونَكَ بوجه سيف الدولة؛ فلستَ شبيهًا له، ولا من أشْكاله.

(٥) **أي**: مَن بلغ النهايةَ في الرِّفْعة لم يكنْ وراءَ النهاية محلٌّ يُرفَع إليه، فلا يرتفع بنُصرة أحد، ولا يتَّضع بخِذْلان أحدٍ.

وَأَنْتَ الـمَرْءُ تُـمْرِضُـهُ الـحَشَايَا   لِـهِـمَّـتِـهِ وَتَـشْـفِـيـهِ الـحُـرُوبُ[١]

❊ ❊

هوَ البَحرُ غُصْ فيه إذا كانَ ساكِنًا   على الدُّرِّ واحْذَرْهُ إذا كانَ مُزْبِدَا

يَرَى قَلبُهُ في يَوْمِهِ ما ترَى غَدَا

❊ ❊

كـأنَّـكَ بَـحْـرٌ وَالـمُـلُـوكُ جَـداوِلُ

كريمٌ مَتى اسْتُوهِبْتَ ما أنتَ رَاكِبٌ   وَقد لَقِحَتْ حَرْبٌ فإنَّكَ نازِلُ[٢]

❊ ❊

أنْـتَ الـحَـبـيـبُ ولـكـنّي أعـوذُ بـه   من أنْ أكـونَ مُحبًّا غيرَ مَحبوبِ

❊ ❊

مَنْ لا تُشابِهُهُ الأحْياءُ في شِيَمٍ   أمْسَى تُشابِهُهُ الأمْواتُ في الرِّمَمِ[٣]

عَـدِمْـتُـهُ وَكَـأنِّـي سِـرْتُ أطْـلُـبُـهُ   فَمَا تَزيدُني الدُّنْيا على العَدَمِ[٤]

❊ ❊

(١) **الحَشايا أي**: الفرشُ والسُّررُ. يريد أنكَ لستَ كسائر الناس؛ بل تُمرضُكَ الراحةُ وتَشْفيكَ الحروبُ والمعاركُ.

(٢) **يقولُ**: قد وصَلَ بكَ الكرمُ إلى أنْ لوِ استوهبَكَ أحدُهُم فرسَكَ الذي تركَبُه وقتَ الحرب لما خيَّبتَ سؤالَه، مع شدَّة احتياجكَ إلى فرسِكَ.

(٣) **الرِّمَمُ**: جمعُ رِمَّةٍ وهي العَظْمُ البالي.
يقول في رثاء أبي شجاع: لم تكنْ تُشبهُهُ الأحياءُ في أخْلاقه الكريمة، وقد أمسى الآن تشبهُهُ الأمواتُ في عِظامه الرَّميمة.

(٤) **يقولُ**: لما فقدْتُه طلبْتُ له مِثلًا في مكارِمِه وأخْلاقه، فما ظَفِرْتُ به في الدنيا؛ إذ ليس له نظيرٌ.

فَـمـا بِـفَـقـيـرٍ شـامَ بَـرْقَـكَ فَـاقَـةٌ   وَلا في بِلادٍ أنْتَ صَيِّبُها مَحْلُ(١)

* * *

فـي شَـانِـهِ ولِـسـانِـهِ وبَـنَـانِـهِ   وَجَنانِهِ عَجَبٌ لِمَنْ يَتَفَقَّدُ(٢)

* * *

وقالَ يَمدَحُ أبا الفَضلِ محمَّدَ بنَ الحُسَينِ بنِ العَميدِ، حينَ ورَدَ عليه بأَرَّجانَ سنةَ أربَعٍ وخَمسينَ وثَلاثِ مائةٍ:

يَتكسَّبُ القَصَبُ الضَّعيفُ بخَطِّه   شَرَفًا على صُمِّ الرِّماحِ ومَفْخَرَا(٣)

ويَـبـيـنُ فـيـمـا مَـسَّ مـنـه بَـنـانُـه   تِيهُ المُدِلِّ فلو مَشَى لَتَبَخْتَرَا(٤)

يـا مَـنْ إذا ورَدَ الـبِـلادَ كِـتـابُـه   قَبلَ الجُيوشِ ثَنَى الجُيوشَ تَحَيُّرَا(٥)

أنـتَ الـوَحـيـدُ إذا ركِـبْـتَ طَـريـقـةً   وَمَنِ الرَّديفُ وقد ركِبْتَ غَضَنْفَرَا(٦)

---

(١) **الصَّيِّب**: المطرُ، والمَحْل: القَحطُ. يقولُ: ليس لفقير أبصرَ برقَكَ ونظَرَ جودَكَ فاقةٌ، وليس في بلادٍ أنتَ قَطْرُها قَحطٌ ولا جَدبٌ.

(٢) يريد أن الممدوح لا مِثْلَ له، وفي كل أموره عجبٌ للناظر؛ فشأنُه عظيمٌ، ولسانُه فصيحٌ، وبَنانُه يكتب أبلَغَ الكلام وأحسنَه، ويطعَنُ به قلوب العِدى، وفي جَنانه ذكاءٌ وحِكمةٌ وفِطنةٌ.

(٣) **أراد بالقَصَب الضعيف**: القلمَ، وبالمفخر: الفخرَ.
يعني: إذا كتب بقلمه اكتسبَ قلمُه بخطه شرفًا على الرماح؛ لأنه يفعل بقلمه ما لا يفعله الفارسُ برُمحه.

(٤) الهاء في منه للقَصَب.
يقولُ: يظهر في كل قَصَب مسَّه بنانُه من التِّيه ما لو أمكنَه المشيُ لتبختَرَ في مَشْيه.

(٥) **يعني**: إذا كتب لعدوٍّ كتابًا لم يحتَجْ إلى إنْفاذ الجيوش؛ لأنه يهزمُهم بكتابه، ويُصيِّرُهم مُتحيِّرين بوَعْده ووَعيده.

(٦) **يقولُ**: أنتَ في جميع أحوالكَ لا نظيرَ لكَ، لا تركبُ إلا كلَّ طريقةٍ صعبةٍ لا يُطيقها أحدٌ، ولا يتبعُكَ فيها أحدٌ؛ فكأنَّكَ ركبْتَ الأسدَ، ومَن ركبَ الأسدَ لا يمكن لأحدٍ أنْ يصيرَ رديفًا له.

قَطَفَ الرِّجالُ القَولَ قَبلَ نَباتِهِ وقَطَفْتَ أنتَ القَولَ لَمَّا نَوَّرَا

فهوَ المُتبَّعُ بالمَسامِعِ إنْ مَضى وهو المُضاعَفُ حُسْنُه إنْ كُرِّرَا[١]

وإذا سَكَتَّ فإنَّ أبلَغَ خاطِبٍ قلَمٌ لكَ اتَّخَذَ الأصابِعَ مِنْبرًا[٢]



---

(١) **فهو أي**: القولُ.

يقولُ: كلامُكَ كلما سمِعه سامعٌ استعاده وتتبَّعه بسمعه؛ لحُسنه، وكلما كُرِّر على المسامع ازداد حسنُه.

(٢) **يقولُ**: إذا سكتَّ قام قلمُكَ مقامَ خطابكَ، يخطبُ في الناس متخِذًا من أصابعكَ مِنبرًا.

رابعًا: المَدحُ الَّذي فيه تَذلُّلٌ وتَزلُّفٌ وتَحْقيرٌ لنَفْسِه:

وصَلَ الحالُ بالمُتَنبِّي في سَبيلِ نَيْلِ مُرادِهِ، منَ العَطايا والهِباتِ إلى دَرَجةِ أنَّه حَطَّ من قَدْرِه ودِينِه وكَرامَتِه، بل داسَ على كَرامَتِه في سَبيلِ إرْضاءِ المَمْدوحِ.

وهذه أمْثِلةٌ على ذلك:

خَيْرُ أعْضائِنا الرُّؤوسُ ولَكِنْ فَضَلَتْها بقَصْدِكَ الأقْدامُ[1]

* * *

ومِن تَزلُّفِه لمَن لا يَستحِقُّ: مَدحُه لأبي القاسِمِ طاهِرِ بنِ الحُسَينِ بنِ طاهِرٍ الرَّافِضيِّ، الَّذي حكَمَ أجْزاءً منَ المَغرِبِ العَربيِّ:

كَذا الفاطِمِيُّونَ النَّدى في بَنانِهِمْ أعَزُّ امِّحاءً مِنْ خُطوطِ الرَّواجِبِ

* * *

نَصَرْتَ عَلِيًّا يا ابْنَهُ ببَواتِرٍ منَ الفِعْلِ لا فَلٌّ لها في المَضارِبِ

* * *

هُوَ[2] ابنُ رَسولِ اللهِ وابنُ وَصِيِّهِ وشِبْهُهُما شَبَّهْتُ بعدَ التَّجارِبِ

* * *

---

(١) يقول مادحًا أبا الحسن عليَّ بنَ أحمد المريَّ الخُراسانيَّ: إن الرؤوس أفضلُ الأعضاء فينا؛ لِما فيها من أنواع الحواسِّ، غيرَ أن الأقدامَ صارتْ أفضَلَ منها؛ لقَصدِها إيَّاكَ، وتقريب المسافة بيْننا.

(٢) يُريد بالوصيِّ عليًّا ﷺ، وهو يوافق الرافضةَ بأنه وصيُّ النبيِّ ﷺ، وهذا كذِبٌ وافْتراءٌ، لكنَّه التزلُّفُ والخُنوعُ ولو على حساب دِينِه وعَقيدتِه.

خامسًا: إعْجابُه بنَفْسِه، ومَدحُه لنَفْسِه، واحْتِقارُه للنَّاسِ:

بلَغَ المُتَنَبِّي الغايَةَ في غُرورِه وتَكَبُّرِه ـ معَ تَحْقيرِه لنَفْسِه في مَواضِعَ كمَا تَقدَّمَ ـ بل وصَلَ به الحالُ إلى احْتِقارِ النَّاسِ كلِّهم، وذَمِّهم وتَجْهيلِهم، وما اسْتثنى إلا نفسه ومن مَدحه، وأفْرادًا قلَّة.

وهذه أمْثِلةٌ على ذلك:

لا بقَومْي شرُفْتُ بَلْ شَرُفوا بي ... وبنَفْسي فخَرْتُ لا بجُدودِي

وبِهِم فَخرُ كلِّ مَن نطَقَ الضَّا ... دَ وعَوْذُ الجاني وغَوْثُ الطَّريدِ[1]

إنْ أكُنْ مُعجَبًا فعُجْبُ عَجيبٍ ... لم يجِدْ فَوقَ نَفْسهِ من مَزيدِ

أنا تِرْبُ النَّدى ورَبُّ القَوافي ... وسِمامُ العِدَى وغَيظُ الحَسودِ

أنا في أمَّةٍ تَدارَكَها اللـ ... ـهُ غَريبٌ كَصالحٍ في ثَمودِ

* * *

وقال أيضًا:

أنا ابنُ مَن بعضُهُ يَفُوقُ أبَا الـ ... ـباحِثِ والنَّجلُ بعضُ مَن نَجلَهْ[2]

---

(١) **يقولُ**: إنني لم أصِلْ إلى العُلا بسبب قَوْمي وأهْلي، وإنما همُ الذين وَصَلوا إلى الشرف والسؤْدُد بسببي، ثم يَنْفي أن يكونوا كما يَفهَم القارئ والمستمِع أنهم عالةٌ لا شرَفَ لهم بغير الشاعر، فذكَرَ أنَّ أهله فخرٌ لجميع مَنِ انتسَبَ إليهم، فلا يقدِرُ أحدٌ أن يُخفِر أمانَهم، وإن كانوا أمَّنوا الجانيَ أو الطَّريدَ.

(٢) **يقولُ**: إنَّ أيًّا من آبائي يفوقُ أبا الذي يبحثُ عن نَسَبي وأصْلي، وأنا مثلُهم؛ يُريد أنه أفضلُ من آباء الذي يبحثُ عن نسبه.

وإنَّـمـا يَـذْكُـرُ الـجُـدودَ لَـهُـمْ ... مَـنْ نَـفَـرُوهُ وأنْـفَـدوا حِـيَـلَـهْ[١]

فَـخْـرًا لـعَـضْـبٍ أرُوحُ مُـشْـتَـمِـلَـهْ ... وسَـمْـهَـرِيٍّ أرُوحُ مُـعْـتَـقِـلَـهْ[٢]

ولـيَـفْـخَـرِ الـفَـخْـرُ إذْ غـدَوْتُ بـهِ ... مُـرْتَـدِيًـا خَـيْـرَهُ ومُـنْـتَـعِـلَـهْ

أنَـا الَّـذي بَـيَّـنَ الإلَـهُ بِـهِ الـ ... ـأقْدارَ والـمَـرْءُ حَـيْـثُـما جـعَـلَـهْ

جَـوْهَـرَةٌ تَـفْـرَحُ الـشِّـرافُ بـهَـا ... وغُـصَّـةٌ لا تُـسِـيغُـهـا الـسَّـفِـلَـهْ

إنَّ الـكِـذابَ الـذي أُكَـادُ بِـهِ ... أهْـوَنُ عِـنْـدي مِـنَ الَّـذي نَـقَـلَـهْ[٣]

فَـلا مُـبَـالٍ ولا مُـداجٍ ولا ... وانٍ ولا عـاجِـزٌ ولا تُـكَـلَـهْ[٤]

ودارِعٍ سِـفْـتُـهُ فَـخَـرَّ لَـقًـى ... في المُلْتَقَى والعَجاجِ والعَجَلَهْ[٥]

وسـامِـعٍ رُعْـتُـهُ بـقـافِـيَـةٍ ... يَـحـارُ فـيـهـا الـمُـنَـقِّـحُ الـقُـوَلَـهْ[٦]

ورُبَّـمـا أُشْـهِـدُ الـطَّـعـامَ مَـعـي ... مَن لا يُساوي الخُبزَ الَّذي أكَلَهْ

ويُـظْـهِـرُ الـجَـهْـلَ بـي وأعْـرِفُـهُ ... والـدُّرُّ دُرٌّ بـرَغْـمِ مَـنْ جَـهِـلَـهْ

أنَا صَخْرَةُ الوَادِي إذا مَا زُوحِمَتْ ... فـإذا نَـطَـقْـتُ فـإنَّـنـي الـجَّـوزَاءُ

* * *

(١) **يقولُ**: إنَّ الذي يذكُرُ آباءَه وأجدادَه في المنافَرات والمفاخَرات يفعَلُ ذلك لقلَّة حيلته؛ حيث لا فضيلةَ له في نَفْسه، ولستُ كذلك.

(٢) **يقولُ**: إنَّ سيفي يفخَرُ بي؛ إذ أشتمِلُ به، كما يفخَرُ الرمحُ السَّمْهَري حين أضُمُّه إليَّ.

(٣) **يقولُ**: إن الكذبَ الذي أراد الوُشاةُ به كَيْدي لا أُبالي به ولا بمَن نقلَه.

(٤) **المداجاةُ**: النفاقُ، ووانٍ: عاجزٌ، والتُّكَلةُ: الذي يَكِلُ أمورَه إلى غيرِه.

(٥) **يقولُ**: كم من رجلٍ مُحتَمٍ بدرعِه، ضربتُه بسيفي فخرَّ قتيلًا مُلْقًى في الحرب مع استعجالي ضربَه، ولولا الاستعجالُ؛ لكان الخطبُ أفدَحَ.

(٦) **يقولُ**: كم من سامعٍ أسمعتُه أشعارًا يَحار في بلاغتها وقوَّة فصاحتها الفُصحاءُ الذين يَنقُدون الأقوالَ ويُهذِّبونها.

وَإنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كأنَّ نُفُوسَهمْ بها أَنَفٌ أنْ تَسكُنَ اللَّحْمَ والعَظْمَا

* * *

لا تَجْسُرُ الفُصَحاءُ تُنشِدُ ههُنا بَيْتًا ولكِنِّي الهِزَبْرُ الباسِلُ

ما نالَ أهْلُ الجاهِلِيَّةِ كُلُّهُمْ شِعْرِي ولا سمِعَتْ بسِحْري بابِلُ

* * *

أَذُمُّ إلى هذا الزَّمانِ أُهَيْلَهُ فأعْلَمُهُمْ فَدْمٌ وأحزَمُهمْ وَغْدُ[1]

وأكرَمُهُمْ كَلْبٌ وأبصرُهُمْ عَمٍ وأسهَدُهُمْ فَهدٌ وأشجَعُهم قِرْدُ[2]

* * *

ومِنِّي اسْتَفادَ النَّاسُ كُلَّ غَريبَةٍ فجازُوا بتَرْكِ الذَّمِّ إنْ لم يكُنْ حَمْدُ

* * *

أنَا الذي نَظَرَ الأعْمَى إلى أدَبي وَأسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بهِ صَمَمُ

* * *

الخَيْلُ وَاللّيْلُ وَالبَيْداءُ تَعرِفُني وَالسَّيفُ وَالرُّمحُ والقِرْطاسُ وَالقَلَمُ

* * *

أنَا السَّابِقُ الهادِي إلى ما أقُولُهُ إذِ القَوْلُ قَبْلَ القائِلِينَ مَقُولُ

* * *

---

(١) صغر الأهلُ تَحْقيرًا لهم، والفَدْمُ: العيُّ من الرجال، والوَغْدُ: اللئيمُ الضعيفُ، وإذا كان الأعلَمُ فَدْمًا، فكيف الجاهلُ؟!

(٢) **أي**: أكرمُهم في خسَّة الكلب، وأبصرُهم ـ أي أعلمُهم ـ أعْمى القلب، وأكثرُهم سهرًا يَنام نومَ الفَهد، وبه يُضرَبُ المثَلُ في كثرة النوم، ويُضرَبُ المثلُ بالقِرْد في الجُبْن.

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُواةِ قَصائِدي إذا قُلْتُ شِعرًا أصْبَحَ الدَّهرُ مُنشِدَا

* * *

وَلا تُبَالِ بِشِعْرٍ بَعْدَ شاعِرِهِ قد أُفْسِدَ القَوْلُ حتى أُحمِدَ الصَّممُ(١)

* * *

إذا قُلْتُهُ لم يَمْتَنِعْ مِن وُصُولِهِ جِدارٌ مُعَلًّى أوْ خِبَاءٌ مُطَنَّبُ

* * *

وإنِّي لَنَجمٌ يَهْتَدي صُحْبَتي به إذا حالَ من دونِ النُّجومِ سَحابُ

❁ ❁ ❁

---

(١) **يقولُ**: لا تفكِّرْ في شِعرٍ بعد شاعر سيف الدولة ـ يريد نَفْسه ـ؛ فإن الشعراء قد خُتِموا به، وقد أُفْسِدَ الشِّعرُ حتى صار الصَّممُ مَحمودًا، لأن الإنسانَ إذا سمِعَ شِعرَ أهل هذا العصر، تمنَّى أن يكون أصَمَّ لا يسمَعُ لفساده واختلاله.

سادسًا: طَمَعُه وكَثْرةُ سُؤالِه للحُكَّامِ صَراحةً وتَلْميحًا:

أكثَرُ الشُّعَراءِ إنَّما يَرْجونَ من مَديحِهم للأُمراءِ والكُبَراءِ: المالَ والجاهَ والمَنصِبَ، ولكنَّ المُتَنَبِّيَ فاقَهُم بمَراحِلَ، فلا تَكادُ تَخْلو قَصيدةٌ في مَدحِ أميرٍ أو كَبيرٍ منَ السُّؤالِ تَصْريحًا أو تَلْميحًا.

وهذه أمْثِلةٌ على ذلك:

فـي كـلِّ يَـوْمٍ لـلـقَـوافـي جَـوْلـةٌ ... فـي قَـلْـبِـهِ ولأُذْنِـهِ إصْـغَـاءُ[(١)]

وإغـارَةٌ فـيـمَـا احْـتَـواهُ كـأنَّـمَـا ... فـي كُـلِّ بَـيْـتٍ فَـيْـلَـقٌ شَـهْـبَـاءُ[(٢)]

* * *

يـا أيُّـهـا الـمُـحْـيَـا عَـلـيـه رُوحُـه ... إذْ لَـيْـس يَـأتـيـهِ لَـهَـا اسْـتِـجْـداءُ

احْمَدْ عُفاتَكَ لا فُجِعْتَ بفَقدِهم ... فَلَتَرْكُ ما لم يَأْخُذوا إعْطاءُ[(٣)]

* *

يَـتَـداوَى مِـنْ كَـثْـرَةِ الـمَـالِ بـالإقْـ ... ـلالِ جُـودًا كـأنَّ مَـالًا سَـقَـامُ[(٤)]

* * *

---

(١) **يعني**: أنه يُمدح كلَّ يومٍ فيَعي ذلك في قلبه ويميل إليه بأُذنه حبًّا للشِّعر، وإعطاء الشُّعراء.

(٢) **احْتَواه**: جمَعَه من ماله وملكه، يقولُ: للقوافي إغارةٌ في ماله، كأنَّ كلَّ بيتٍ من أبيات الشِّعر عَسكَرٌ ينهَبُ.

(٣) **يقولُ للممدوح**: إنَّ الذين يَستَجدونَكَ ويطلبون نوالَكَ قد أحْيَوْا رُوحكَ حينما لم يسألوكها، فالواجب عليكَ حينئذٍ أن تشكرَهم على عطائهم، فإنَّ عدمَ سؤالهم وأخْذهم رُوحكَ ـ التي لو سألوكها لأعطيتَهم إيَّاها لكرمِكَ ـ إعطاءٌ يستحِقُّ الشكرَ.

(٤) **يقولُ**: كأن الممدوحَ رأى كثرةَ المال عندهَ مَرضًا، فهو يَتَداوى منه بإقْلاله عن طريق الجُود والكَرَم.

ومِنَ الخَيرِ بُطْءُ سَيْبِكَ عَنِّي أسرَعُ السُّحْبِ في المَسيرِ الجَهامُ(١)

* * *

دَعاني إلَيكَ العِلمُ والحِلمُ والحِجَى وهذا الكَلامُ النَّظمُ والنَّائلُ النَّثرُ(٢)

* * *

وقولُه في مَدحِ سَيفِ الدَّولةِ:

أقامَ الشِّعْرُ يَنْتَظِرُ العَطَايَا فَلَمَّا فَاقَتِ الأمْطارَ فَاقَا(٣)

* * *

وقولُه في مَدحِه:

وَمَنْ كنْتَ بَحرًا لَهُ يا عَليُّ لَمْ يَقْبَلِ الدُّرَّ إلَّا كِبَارَا

* * *

أجِزْني إذا أُنْشِدْتَ شِعرًا فإنَّمَا بشِعْري أتَاكَ المادِحونَ مُرَدَّدَا

* * *

وَهَبْتَ على مِقْدارِ كَفَّيْ زَمَانِنَا وَنَفْسِي على مِقْدارِ كَفَّيْكَ تَطلُبُ(٤)

---

(١) **البُطء**: اسم من الإبطاء وهو التأخُّر، يقولُ: تأخُّر عطائِكَ عني يدُلُّ على كثرته، كالسحاب إنما يُسرِعُ منها ما كان جَهامًا لا ماءَ فيه، وما يكون فيه الماءُ يكون ثقيلَ المشيِ.

(٢) **يقولُ**: دَعاني إليكَ ما فيكَ من هذه الفضائل، وما تنظِمُه من كلامكَ في شِعركَ، وما تَنثُره من نائلِكَ أي: عطائِكَ.

(٣) **يقولُ**: أقام الشِّعر ببابه منتظرًا لعطائه، فلما فاقتْ عطاياه الأمطارَ في الكثرة فاقَ الشِّعرُ الأمطارَ أيضًا، يعني: كثُرَت عطاياه وكثُرَت الأشعارُ في مدحه.

(٤) **يقولُ**: أنتَ إنما وهبتَ من المال على قَدْر همَّة الزمان، وأنا أطلبُ منكَ على قَدْر همَّتكَ ومبلَغ جودِكَ.

إذا لم تَنُطْ بي ضَيْعةً أو وِلايةً   فجودُكَ يَكْسُوني وشُغلُكَ يَسلُبُ[١]

* * *

وهَلْ نافِعي أنْ تُرفَعَ الحُجبُ بَيْنَنا   ودونَ الَّذي أَمَّلْتُ منكَ حِجابُ[٢]

وفي النَّفسِ حاجاتٌ وفيكَ فَطانةٌ   سُكوتي بَيانٌ عِندَها وخِطابُ[٣]

* * *

يا ذا الَّذي يَهَبُ الكَثيرَ وَعِنْدَهُ   أنِّي عَلَيْهِ بأخْذِهِ أتَصَدَّقُ[٤]

أمْطِرْ عَليَّ سَحَابَ جُودِكَ ثَرَّةً   وَانظُرْ إليَّ بِرَحْمَةٍ لا أغْرَقُ[٥]

---

(١) **يقولُ**: إذا لم تُقْطِعْني ضَيعةً، أو توَلِّيني ولايةً تفضُل عن مُؤْنَتي؛ فإنَّه وإنْ كَساني جودُكَ، فإن اشتغالَكَ بتدبير المُلْك عنِّي يَسلُبُني ما يَكْسوني إيَّاه جودُكَ.
قلتُ: وهذه عادتُه في الطمع السؤالُ، حتى قاده طمعُه إلى طلب الإمارة، فلمَّا لم يُعْطِه سيفُ الدولة ما أراد؛ جَفاه وتركَه، وترَكَ وطنَه وأهلَه، ثم جاء إلى كافور، فما زال يمدحُه ويسألُه، فلمَّا لم يُعْطِه كافور ما أراد؛ هَجاهُ وترَكَه بعد ذلك.

(٢) **يقول لكافور**: أيُّ نفع في رَفْع الحجاب؟! إذا كان ما أؤمِّلُ منكَ حجابٌ. يعني: أنتَ لا تبذُلُ لي ما أَمَّلْتُه منكَ من العطاء والوداد.

(٣) الهاءُ في عندها تعودُ إلى لفظ الفَطانة.
يقولُ: في نَفْسي حاجاتٌ ولك معرفةٌ، فسكوتي عند معرفتك يُغْنيني عن بيانها وإظهارها بالخطاب.

(٤) يقول لأبي المنتصِر شجاع الأزْدي: يا مَن يُعْطي العطاءَ الجزيلَ، ويرى أني متصدِّقٌ عليه بأخْذي منه، وذلك لسروره بما يُعْطيه لي.

(٥) **يقولُ**: تفضَّلْ عليَّ وجُدْ بكريم عطائكَ وفَيْض نوالِكَ، ولا تُرضِ نفْسَكَ في العطاء؛ فإني حينئذٍ أهلِكُ غرقًا في أمواج كرمِكَ.

سابعًا: أبْياتٌ تُخالِفُ العَقيدةَ، والَّتي يصِلُ بعضُها إلى دَرَجةِ الكُفرِ باللهِ:

أكثَرَ المُتَنَبِّي من مَدحِ الأُمَراءِ وغَيرِهم، وتَجاوَزَ بهمُ الحَدَّ والمَعْقولَ، فلا يَهتَمُّ إلَّا بإرْضاءِ المَمْدوحِ، ولو كانَتِ الأبْياتُ لا تَليقُ بمَخْلوقٍ، بل لا تَليقُ إلَّا باللهِ وَحدَه.

وهذه أمْثلةٌ على ذلك:

فَما تَرْزُقُ الأقْدارُ مَن أنتَ حارِمٌ ... ولا تَحْرِمُ الأقْدارُ مَن أنتَ رازِقُ

ولا تَفْتُقُ الأيَّامُ ما أنْتَ راتِقٌ ... ولا تَرْتُقُ الأيَّامُ ما أنْتَ فاتِقُ[1]

❋ ❋ ❋

ولو يَمَّمْتَهُمْ في الحَشْرِ تَجْدو ... لأعْطَوْكَ الَّذي صَلَّوْا وصامُوا[2]

❋ ❋ ❋

وقولُه مادِحًا سَيْفَ الدَّوْلةِ:

لَوْ كانَ عِلْمُكَ بالإلهِ مُقَسَّمًا ... في النَّاسِ ما بَعَثَ الإلَهُ رَسُولَا[3]

---

(١) **يقولُ**: إن الأقْدارَ موافِقةٌ لكَ، فترزُقُ مَن ترزُقُ، وتَحرِمُ مَن تَحرِمُه أنتَ، ولا تَنقُضُ الأيامُ ما تُبرِمُه أنتَ، ولا تُبرِمُ ما نَقضْتَه أنتَ.

قلتُ: والقدَرُ موافِقٌ لله وحدَه لا لغيره، فمقدِّرُ الأقدار هو اللهُ.

(٢) **تجدو**: تطلُبُ جَدْواهم. والمعنى أنَّكَ لو ذهبتَ إلى الممدوح وقومِه يومَ الحشر تطلُبُ منهم الإحسانَ؛ لَمَا بَخِلوا عليكَ، ولأعْطَوْكَ حَسَناتهم وثمرات أعمالهم. قلتُ: وقد كذَبَ وافْتَرى في هذا، واللهُ تعالى يقول عن يوم الحشر: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].

(٣) **يقولُ**: لو كانت معرفتُكَ بالإله وصفاته وعَدْله مَقسومةً بينَ الناس؛ لكانوا كلُّهم عارفين بالله، وما احتاجوا إلى رسولٍ يَدْعوهم إلى أمور دينهم.

لَوْ كانَ لَفْظُكَ فيهِمُ ما أنزلَ الـ ـفُرْقانَ والتَّوْراةَ والإنْجيلا[١]

* * *

وأمَا وحَقِّكَ وهْوَ غايَةُ مُقْسِمٍ لَلْحَقُّ أنتَ وما سِواكَ الباطِلُ[٢]

* * *

قد شَرَّفَ اللهُ أرْضًا أنْتَ ساكِنُها وشَرَّفَ النَّاسَ إذْ سَوَّاكَ إنْسانَا

* * *

يا أكْرَمَ الأكْرَمينَ يا مَلِكَ الـ ـأمْلاكِ طُرًّا يا أصْيَدَ الصِّيدِ[٣]

---

(١) **يقولُ**: إن كلامَكَ كلَّه حِكَمٌ ومواعظُ، ومختصٌّ بغاية الفصاحة، فلو كان موجودًا من قبلُ ما أنزَلَ اللهُ الكتُبَ المذكورة، ولقامَ كلامُكَ مَقامَها.
قال الواحِديُّ شارحُ ديوان المتنبِّي: أساءَ في هذين البيتَين، وأفرَط وتجاوَزَ الحدَّ، نعوذُ بالله من ذلك.

(٢) **المُقسِمُ**: الحالفُ.
يقولُ: أحلِفُ بحقِّكَ، وهو نهايةُ القَسَم، أنَّكَ ذو الحق، وما سواكَ ذو الباطل.
قلتُ: كلامُه باطلٌ من وجهَيْن:
١ ـ أنه جعَلَ حَلِفَه بحقِّ هذا المخلوق الضعيف غايةَ القَسَم والعياذُ بالله، بل غاية القَسَم بالله وحدَه، (ومَن حلَفَ بغير الله؛ فقد كفَرَ أو أشرَكَ)، فكيف مَن جعَلَ الحلِفَ بغيرِ الله هو الأعظَمَ والغايةَ!
٢ ـ أنه حصَرَ الحقَّ في شخص الممدوح، وهذه عبارةٌ كُفريَّةٌ والعياذُ بالله، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].
وقد ثبَتَ في الصَّحيحَين عن النبيِّ ﷺ قال: أشْعَرُ كَلمةٍ تكلَّمَتْ بها العربُ كَلمةُ لَبيدٍ:
أَلَا كلُّ شيءٍ ما خَلَا اللهَ باطلُ.
والمتنبِّي يقولُ للقاضي أبي الفضل أحمَدَ بنِ عبد الله الأنطاكيِّ: أنتَ الحقُّ وما سواكَ الباطلُ!!

(٣) **قلتُ**: لا يُقالُ هذا الكلامُ لغير الله تعالى؛ ففي الصحيحين أن النبيَّ ﷺ قال: «**أخنى الأسْماءِ يومَ القيامةِ عندَ اللهِ رَجلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأمْلاكِ**» رواه البخاريُّ (٦٢٠٥)، ومسلم (٢١٤٣)، عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه.

فَلَوْ خُلِقَ النَّاسُ مِنْ دَهرِهِمْ لَكانُوا الظَّلامَ وَكنْتَ النَّهارَا

* * *

لا تَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤيَتِهِ إنَّ الكِرامَ بأسْخاهُمْ يَدًا خُتِمُوا

إنْ كانَ مِثْلُكَ كانَ أوْ هُوَ كائِنٌ فَبَرِئْتُ حِينَئِذٍ مِنَ الإسْلامِ(١)

* * *

قَضَى اللهُ يا كافورُ أنَّكَ أوَّلٌ وليسَ بقَاضٍ أنْ يُرَى لكَ ثانِ(٢)

---

(١) أقسَمَ بالبراءة من الإسْلام، إنْ كان لسيفِ الدولة نظيرٌ في زمانه، أو سيكون في مستقبَل أيامه، وقد روى أبو داود (٣٢٥٨)، عن بُريدة الأسْلَمي رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ حَلَفَ، فَقَالَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَلَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْإِسْلَامِ سَالِمًا**».

(٢) **يقولُ**: إنَّ الله تعالى قد حكَمَ بأنَّك ـ أي كافور ـ الأول في الفضل والسابق إليه، ولم يحكُمْ بأن يكون لكَ نظيرٌ في الفضل.

وقوله: قضى اللهُ يا كافور.. فيه جُرأةٌ على الله، وما يُدْريه بأن كافورًا هو أول في المعالي، وليس له نظيرٌ! فأين الأنبياء والرسل والصحابة؟!

قلتُ: وهذا من تَناقُضه، حيث أقسَمَ بالبراءة من الإسلام، إن كان لسيف الدولة نظيرٌ في زمانه، أو سيكون في مستقبَل أيامه، ثم يدَّعي بأن الله تعالى قد حكَمَ بأن كافورًا هو الأول في الفضل والسابق إليه، ولم يحكُمْ بأن يكون له نظيرٌ في الفضل.

بل لقد قال في أبي شجاع ـ عَضُد الدولة ـ:

فإنَّ النَّاسَ والدُّنيا طريقٌ إلى مَن ما له في النَّاس ثانِ

يقولُ: إن الدُّنيا وجميعَ أهلها طريقٌ إلى هذا الممدوح، يَعبُرهم حتى ينتهيَ إليه، فإنه الغاية التي ليس وراءَها مطلَبٌ، وليس له ثانٍ في الناس.

ثم قال بعدها:

له علَّمت نَفْسي القولَ فيهم كتعليم الطِّرادِ بلا سِنانِ

الكنايةُ في فيهم للناسِ.

يقولُ: إنما مدحتُ الملوكَ وسائرَ الناس لأتمَرَّنَ بالمدح، وأصلُح لمدحه إذا وصلتُ إليه، كما يتعلَّمُ الفارسُ الطِّرادَ بالرمح الذي لا سِنانَ عليه.

وقالَ في أبي المُنتَصِرِ شُجاعٍ الأزْديِّ:

لم يَخلُقِ الرَّحمَنُ مِثلَ محمَّدٍ أحَدًا وظَنِّي أنَّه لا يَخلُقُ(١)

❃ ❃ ❃

وقالَ في عَبدِ اللهِ بنِ يَحْيى البُحْتُريِّ:

فكُنْ كَمَا أنْتَ يا مَن لا شَبيهَ لهُ أو كيفَ شِئْتَ فما خَلْقٌ يُدانِيكَا

❃ ❃ ❃

لَوِ الفَلَكَ الدَّوَّارَ أبغَضْتَ سَعْيَهُ لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَرانِ(٢)

❃ ❃ ❃

في وَجْهِه من نورِ خالِقِه غُرَرٌ هي الآياتُ والرُّسلُ(٣)

❃ ❃ ❃

وقالَ أيضًا يمدَحُ شُجاعَ بنَ محمَّدٍ الطَّائيَّ:

إلى سَيِّدٍ لَوْ بَشَّرَ اللهُ أُمَّةً بغَيرِ نَبيٍّ بَشَّرَتْنَا بهِ الرُّسْلُ(٤)

❃ ❃ ❃

وقال أيضًا يَمدَحُه:

---

(١) قال في مُعجِزِ أحمدَ: وهذا كذبٌ ظاهرٌ. وهذا فضلًا عمَّا فيه من التألِّي على الله تعالى.

(٢) وهذا كفرٌ صريحٌ وشركٌ واضحٌ؛ إذ جعَلَ إرادةَ المخلوق تُدَبِّرُ أمرَ الكونِ.

(٣) **يقولُ**: ما في وجهه من النور والجمال، يقومُ مَقامَ المعجزات التي هي الآياتُ، وما يأْتي به الرسلُ؛ لِمَا فيه من ظُهور قُدْرة الله تعالى وعَظَمته فيه.

(٤) **يقولُ**: وأشْكو إلى سيِّد لو بشَّر اللهُ أمَّةً بمَن هو غير نبيٍّ؛ لبشَّرَتْنا رسلُ الله تعالى بهذا الممدوح، قبل وجودِه، كما بشَّرَ الرسلُ عن الله تعالى بنبيِّنا ﷺ. إلا أن العادة لم تجْرِ بالبِشارة بغير الأنبياء ﷺ.

أَنَّـى يَـكُـونُ أَبَـا الـبَـرِيَّـةِ آدَمٌ   وأبوكَ - والثَّقَلانِ أنْتَ - مُحَمَّدُ[١]

* * *

وقال في الفَخرِ بنَفْسِه:

أنـا الَّـذي بَـيَّـنَ الإلَـهُ بِـهِ الـ   ـأقْدارَ والمَرْءُ حَيْثُما جَعَلَهْ[٢]

* * *

وقالَ مخاطِبًا الأميرَ الحسَنَ بنَ عَبدِ اللهِ بنِ طُغُجَّ، حينَ دَعاهُ لشُربِ الخَمرِ:

وإذا طَلَبْتُ رِضَا الأميرِ بشُرْبِهَا   وأخَذْتُها فلَقَدْ تَركتُ الأحرَمَا[٣]

* * *

وقال في أبي شُجاعٍ:

برِّدْ حَشايَ إنِ استَطَعْتَ بلَفْظةٍ   فلَقَدْ تَضُرُّ إذا تَشاءُ وتَنفَعُ[٤]

* * *

---

(١) **تقديرُه**: كيف يكون آدَمُ أبا البَرِيَّةِ، وأبوكَ محمَّدٌ، وأنتَ الثَّقَلانِ.

يقولُ: كيف يكون آدَمُ أبا البريَّةِ، وأبوكَ محمدٌ وأنتَ الثَّقلانِ، أي: أنَّكَ جميعُ الإنس والجنِّ، يعني أنَّكَ تقومُ مَقامَهما بغنائكَ وفضلِكَ.

(٢) **يقولُ**: بي بيَّنَ اللهُ مقادير الناس في الفضل، فأنا أصِفُ كلَّ أحدٍ بما فيه. ولعلَّ هذا من دلائل ادِّعائه النُّبوَّةَ.

(٣) **يقولُ**: إنَّ شُربَ الخمر حرامٌ، كما أنَّ معصيتَكَ حَرامٌ أيضًا، لكنَّ معصيةَ شُرب الخمر أهوَنُ من معصية مخالفتِكَ. جعلَ معصيةَ الله تعالى أهوَنَ من معصية المخلوق.

(٤) يقول مخاطبًا أبا شجاع بعد موته: حَدِّثني بكلمةٍ إن قدرتَ عليها تُذهِب عني ما بي من الحزن والوَجْد والأسى، فلَطالَما كنتَ قادرًا على ضرِّ أعدائكَ، ونَفْع محبِّيكَ وأوْليائكَ.

قُبحًا لوَجهِكَ يا زَمانُ فإنَّه   وَجهٌ له من كلِّ قُبحٍ بُرقُعُ[١]

أيموتُ مثلُ أبي شُجاعٍ فاتِكٍ   ويَعيشُ حاسِدُه الخَصيُّ الأوكَعُ[٢]

* * *

وقال أيضًا يمدَحُ بعضَ أُمراءِ حِمصَ:

يا مَنْ ألُوذُ بِهِ فيمَا أُؤمِّلُهُ   وَمَنْ أعُوذُ بهِ مِمَّا أُحاذِرُهُ[٣]

لا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أنْتَ كاسِرُهُ   وَلا يَهيضُونَ عَظْمًا أنتَ جابِرُهُ[٤]

---

(١) **يقولُ**: قبَّح اللهُ وجهَكَ يا زمان! فإنه وجهٌ مُبرقَعٌ بكل لؤمٍ، أي: كلُّ فعلٍ مذمومٍ مجتَمِعٌ فيكَ!.

(٢) الأوكعُ الذي تميل إبهام رِجْله على أصابعه حتى تخرُجَ عن أصْله. أنكر على الزمان موتَ فاتكٍ وحياةَ كافورٍ بعدَه، وقال: تترُكُ كافورًا مع لؤمه، وتُهلِك فاتكًا مع شَرَفه وكَرَمه؟! وإنما تفعَلُ ذلك للؤمِكَ، فأنتَ تُحامي مَن كان مثلَكَ. وقوله: أيموتُ مثل أبي شجاع أي: يموت أبو شجاع، ومثلٌ زائدةٌ.

قلتُ: وهذان البيتان فيهما سبٌّ للدهر، وفي الحديث القُدسي: «**يُؤْذيني ابنُ آدَمَ، يسُبُّ الدهرَ، وأنا الدهرُ، بيَدي الأمرُ، أقلِّبُ الليلَ والنهارَ**» رواه البخاري (٧٤٩١)، ومسلم (٢٢٤٦)، عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه.

وفيهما اعتراضٌ على أقدار الله.

(٣) أعوذُ، وألوذُ: مُتقارِبان في المعنى.

يقولُ: يا مَن ألتجئُ إليه في آمالي، ويا مَن أعتصمُ به مما أخشاه وأحذَرُه من المكارِهِ.

(٤) **لا يَهيضونَ أي**: لا يَكْسِرون ما تَجبُرُه أنتَ، ولا يَجْبُرون ما تكسِره أنتَ، يعني: أنهم لا يَقدِرون على ردِّ أمرِكَ.

قلتُ: قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله في البداية والنهاية: وقد بَلَغَني عن شيخنا العلَّامة شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّةَ رحمه الله، أنه كان يُنكر على المتنبِّي هذه المبالغةَ في مخلوق، ويقولُ: إنما يصلح هذا لجَناب الله سبحانه وتعالى، وأخبَرَني العلَّامة شمس الدين ابن القيِّم رحمه الله، أنه سمِع الشيخ تقي الدين يقولُ: ربما قلتُ هذين البيتين في السجود، أدعو الله بما تضمَّناه من الذُّلِّ والخُضوعِ.

ثانِمًا: ممَّا تَصرَّف به منَ الكَلِماتِ والجُمَلِ للضَّرْورةِ الشِّعْرِيَّةِ:

أُلِينَ للمُتَنَبِّي الشِّعر، حتَّى يُصرِّفَه كيفَ شاءَ، ولو خالَفَ في ذلك اللُّغةَ العَربيَّةَ، ولكنْ للشِّعرِ ضَرورةٌ.

وهذه أمْثِلةٌ على ذلك[1]:

أقْصِرْ ولَسْتَ بمُقْصِرٍ جُزْتَ المَدَى ... وبلَغْتَ حيثُ النَّجمُ تحتَكَ فارْبَعَا[2]

* * *

قَدْ خَلَّفَ العَبَّاسُ غُرَّتَكَ ابنَهُ[3] ... مَرْأًى لَنا وإلى القِيامَةِ مَسْمَعَا

* * *

فبأَيُّما قَدَمٍ سَعَيْتَ إلى العُلَى ... أُدْمُ الهِلالِ لأَخمَصَيْكَ حِذاءُ[4]

* * *

ولَدَيْهِ مِلْعِقْيَانِ والأدَبِ المُفَا ... دِ ومِلْحياةِ ومِلْمماتِ مَناهِلُ[5]

* * *

---

(١) **قلتُ**: وللجُرْجاني كتابٌ سمَّاه: الوساطة بين المتنبي وخصومه، وقد ذكَرَ في أحد فصوله ما عاب العلماءُ على أبي الطيِّب، وما أنكروه من شِعره واستضعفوه.

(٢) **أراد**: فأربعن بالنون، فوقف بالألِف، مثل لَنَسْفَعًا، ويُقال: ربعَ إذا كفَّ.

(٣) **التقدير**: يا ابنَه.

(٤) هذا استفهام معناه التعجبُ من سعيه إلى العلا وبلوغه منها حيث لم يبلُغْه أحدٌ، و«ما» صلةٌ، ثم دعا له بأن يكون وجهُ الهلال نعلًا لأخمصَيْه، يعني أن قدمًا بلغت سعيها هذا المبلغَ استحق أن يكون الهلالُ نعلًا لها، والأُدُم جمعُ أديم، وهو جمعٌ شاذٌّ. وأديمُ كل شيء: ظاهرُه.

(٥) حذف نون «مِن» مع الألف واللَّام؛ فأصلُ الكلام: منَ العِقْيان، من الحياة، من الممات.

يَـدْري بـمَـا بِـكَ قَـبْـلَ تُـظْـهِـرُهُ لَـهُ مِـن ذِهْـنِـهِ ويُـجيبُ قَـبْـلَ تُـسائِـلُ[(١)]

* * *

يا افْـخَـرْ[(٢)] فـإنَّ الـنَّـاسَ فيكَ ثَلاثَةٌ مُـسْـتَـعْـظِـمٌ أو حـاسِـدٌ أو جـاهِـلُ

* * *

يَـرَى أنَّ ما ما بـانَ مِـنـكَ لـضـارِبٍ بـأقْـتَـلَ مِـمَّـا بـانَ مـنـكَ لـعـائِـبِ[(٣)]

* * *

والـغِـنـى فـي يَـدِ الـلَّـئـيـمِ قَـبـيـحٌ قَـدْرَ قُـبْـحِ الـكَـريـمِ فـي الإمْـلاقِ[(٤)]

* * *

وقـبـلَ يـرَى[(٥)] مـن جـودِهِ مـا رأيـتَـهُ ويَـسـمَـعُ فـيـهِ مـا سـمِـعْـتَ مـن الـعَـذْلِ

* * *

بـادٍ هـواكَ صَـبـرْتَ أمْ لـم تَـصْـبِـرَا وبُـكاكَ إنْ لـم يَـجرِ دَمعُكَ أو جَـرَى[(٦)]

* * *

أرَجَـانَ أيَّـتُـهَـا الـجِـيَـادُ فـإنَّـهُ عَـزْمي الَّـذي يَـذَرُ الـوَشيجَ مُـكَـسَّـرَا[(٧)]

* * *

---

(١) **قلتُ**: حذف «أن» ليستقيمَ الوزن.

(٢) **أراد**: يا هذا، افخَرْ، فحذف المنادى.

(٣) «ما» الأولى نفيٌ، والثانية بمعنى الذي، واسمُ أن محذوف، والتقدير: يرى أنه ليس الذي بان منكَ لضاربٍ بأقتَلَ من الذي بان منكَ لعائبٍ، أي: لا يرى القتل أشدَّ من العيب.

(٤) **أراد أن يقول**: كما يقبح الفقرُ على الكريم، فقُلِب للضرورة.

(٥) **قلتُ**: أي: قبل أن يرى، فحذف أن.

(٦) **قوله**: أو لم تَصبِرَا: في موضع جزم، وأصْلُه: تصبرَنْ بالنون الخفيفة للتأكيد، فأُبدِل عنها ألفًا في الوقف، كقوله تعالى: «لَنَسْفَعًا».

(٧) **أرَجَان**: مدينة من فارس، أصله بتشديد الراء، فخفَّفها مراعاةً للوزن.

فيا لَيلةً ما كانَ أطوَلَ[١] بِتُّها

* * *

والمُتَنَبِّي يَتكلَّفُ كَثيرًا في ذِكْرِ الغَريبِ والوَحْشيِّ منَ الألْفاظِ، ويَتكلَّفُ في التَّرْكيبِ والتَّقْديمِ والتَّأْخيرِ.

وللصَّاحِبِ ابنِ عبَّادٍ (المتوَفَّى: ٣٨٥هـ) كتابٌ سمَّاه: الكَشفُ عن مَساوي شِعرِ المُتَنبِّي، ذكَرَ كَثيرًا من ذلك.

وذكَرَ الجُرْجانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ شيئًا من ذلك عندَ حديثِه على فَسادِ النَّظمِ فقال[٢]:

ويَكْفيكَ أَنَّهم قدْ كشَفوا عن وَجْهِ ما أَرَدْناهُ حيثُ ذكَروا فَسادَ النَّظمِ، فليسَ من أَحدٍ يُخالِفُ في نحوِ قَولِ الفَرَزدَقِ:

وما مِثلُه في النَّاسِ إلَّا مُملَّكًا   أبُو أُمِّه حيٌّ أبوهُ يُقارِبُه

وقَولِ المُتَنبِّي:

ولذا اسْمُ أغْطيةِ العُيونِ جُفونُها   منْ أنَّها عَمَلَ السيُّوفِ عَوامِلُ

وقولِه:

الطِّيبُ أنتَ إذا أصابَكَ طِيبُه   والماءُ أنتَ إذا اغْتَسلْتَ الغاسِلُ

وقولِه:

وفَاؤكُما كالرَّبعِ أَشْجَاهُ طاسِمُهْ   بأنْ تُسعِدَا، والدَّمعُ أشْفاهُ ساجِمُهْ

(١) **قلتُ**: الأصلُ أن يقولُ: أَطْوَلَهَا، لكنَّه حذف الضميرَ مراعاةً للوزن.

(٢) **في كتابه**: دلائل الإعجاز: ص١٢٤.

تاسِعًا: كَلِماتٌ انفَرَدَ بها المُتَنَبِّي ـ من ناحيةِ البِناءِ والتَّصريفِ لا في أصْلِ الكَلمةِ ـ:

وهي ليسَتْ على سَبيلِ الحَصْرِ، وإنَّما للتَّمْثيلِ.

إهْوانًا: إهانةً.

سَرابِيلاتٌ: القُمْصانُ.

مُسارٌ: أي السَّيرُ.

إعْتابٌ: إرْضاءٌ.

الخَدَرْنَقُ: العَنْكبوتُ. وقد ذكَرَ هذا المَعْنى بعضُ أهْلِ اللُّغةِ، لكنْ قال ابنُ فارِسٍ: وأمَّا قولُهم لذَكَرِ العَناكبِ (خَدَرْنَقٌ)؛ فهذا منَ الكَلامِ الَّذي لا يُعوَّلُ على مِثْلِه، ولا وَجهَ للشُّغْلِ به.



عاشرًا: مَلْحوظاتٌ عامَّةٌ على المُتَنَبِّي:

١ ـ أنَّه معَ كَثْرةِ مَدْحِه للأُمَراءِ والقُضاةِ وغَيرِهِم من سائِرِ النَّاسِ، إلَّا أنَّه لم يَمدَحْ ويُثْنِ في بَيتٍ واحِدٍ على الباري جَلَّ وعَلَا، ولا الرُّسلِ والأنْبياءِ، ولا الصَّحابةِ والتَّابِعينَ، وهذا عَينُ الحِرْمانِ، والشَّقاوةِ، والخُسْرانِ.

٢ ـ أنَّ بَعضًا من قَصائِدِه قدْ قالَها ارْتِجالًا من غَيرِ إعْدادٍ لها، فهذا من عَبْقَرِيَّتِه الفَريدةِ، وسُرعةِ بَديهَتِه العَجيبةِ.

٣ ـ ليسَ له اهْتِمامٌ بالغزَلِ، وإنَّما على عادةِ فُحولِ الشُّعَراءِ في اسْتِفْتاحِ قَصائِدِهم بغَزَلٍ غَيرِ مُتعَمِّقٍ، فليس له قَصيدةٌ مُفرَدةٌ في الغَزلِ إلَّا النَّادِرَ.

بلِ اهْتِمامُه مُنصَبٌّ في طلَبِ الرِّياسةِ والإمارةِ، والمالِ والجاهِ، والحَظْوةِ عندَ الأكابِرِ.



قائمة المراجع

١ - **الأمثال السائرة من شعر المتنبي**، المؤلف: إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (المتوفى: ٣٨٥هـ)، المحقق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، الناشر: مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

٢ - **البداية والنهاية**: المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٢١.

٣ - **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.

٤ - **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه** = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط. الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥ - **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٦ - **ذكريات، المؤلف**: علي بن مصطفى الطنطاوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، راجعه وصححه وعلق عليه: حفيد المؤلف مجاهد مأمون ديرانية، الناشر: دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٧ - **سنن أبي داود**: المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٨ - **شرح ديوان المتنبي**، المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (المتوفى: ٦١٦هـ)، المحقق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

٩ - **شرح ديوان المتنبي**، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: ياسين الأيوبي وقصي الحسين، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٠ - **شَرْح شِعْر المُتَنبي**، المؤلف: إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري، من بني سعد بن أبي وقاص، أبو القاسم ابن الإفلِيلي (المتوفى: ٤٤١هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور مُصْطفى عليَّان، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١١ - **اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي**، المؤلف: أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري (٣٦٣ - ٤٤٩هـ)، المحقق: محمد سعيد المولوي، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٢ - **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، المؤلف: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ.

١٣ ـ **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٤ ـ **معجز أحمد (شرح لديوان المتنبي)**، المؤلف: أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان، أبو العلاء المعري، التنوخي (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: عبد المجيد دياب، الناشر: دار المعارف، الطبعة الثانية.

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
أفضَلُ وأبلَغُ قَصائدِه	٩
١ ـ قَصيدَتُه التي قالَها في صِباهُ	٩
٢ ـ قَصيدَتُه التي يصِفُ الأسَدَ وقِتالَ بَدرِ بنِ عَمَّارٍ إيَّاهُ	١٣
٣ ـ قَصيدَتُه التي قالَها حينَ كُبِسَتْ أنْطاكِيَةُ وهو فيها	١٩
٤ ـ قَصيدَتُه وهو يَمدَحُ سَيفَ الدَّولةِ ويُعاتِبُه	٢١
٥ ـ قَصيدَتُه التي يَمدَحُ فيها سَيْفَ الدَّولةِ، ويُهنِّئُه بعيدِ الأضْحى	٢٦
٦ ـ قَصيدَتُه التي قالَها لسَيفِ الدَّولةِ، حين سارَ نحوَ ثَغرِ الحدثِ لبنائِها	٢٩
٧ ـ قَصيدَتُه التي يَمدَحُ فيها سَيفَ الدَّوْلةِ، مُنصَرَفَه من بِلادِ الرُّومِ	٣٧
٨ ـ قَصيدَتُه الَّتي يَمدَحُ فيها الأسْوَدَ كافورًا الإخْشيديَّ	٤٣
٩ ـ قَصيدَتُه الَّتي قالَها حينَ بلَغَه أنَّ قَوْمًا نَعَوْه في مَجلِسِ سَيفِ الدَّولةِ بحلَبَ	٥٠
١٠ ـ قَصيدَتُه الَّتي قالَها حينَما نالَتْه بمِصرَ حُمَّى	٥٣
١١ ـ قَصيدَتُه الَّتي قالَها في أبي شُجاعٍ	٥٩
أفضَلُ وأبلَغُ قَصائدِه في الهِجاءِ	٦٦
١ ـ قَصيدَتُه في كافورٍ، حينَ نهَضَ فلبِسَ نَعْلًا	٦٦
٢ ـ وقال يَهْجوهُ في سنةِ خَمسينَ وثَلاثِ مائةٍ	٦٨
أَشْهَرُ أَبْيَاتِ الْمُتَنَبِّي	٧١

الموضوع | الصفحة

أولًا: حِكَمُه الَّتي سارَتْ بها الرُّكْبانُ ٧٢
ثانيًا: أبْياتٌ يُستَشهَدُ بها لجَمالِها وبَلاغَتِها ٨٥
ثالثًا: التَّشبيهُ البَديعُ ٨٦
رابعًا: المَدحُ الَّذي فيه تَذلُّلٌ وتَزلُّفٌ وتَحْقيرٌ لنَفْسِه ٩٣
خامسًا: إعْجابُه بنَفْسِه، ومَدحُه لنَفْسِه، واحْتِقارُه للنَّاسِ ٩٤
سادسًا: طَمَعُه وكَثْرةُ سُؤالِه للحُكَّامِ صَراحةً وتَلْميحًا ٩٨
سابعًا: أبْياتٌ تُخالِفُ العَقيدةَ، والَّتي يصِلُ بعضُها إلى دَرَجةِ الكُفرِ باللهِ ١٠١
ثامنًا: ممَّا تَصرَّف به منَ الكَلِماتِ والجُمَلِ للضَّرْورةِ الشِّعْريَّةِ ١٠٧
تاسعًا: كَلِماتٌ انفَرَدَ بها المُتَنَبِّي ـ من ناحيةِ البِناءِ والتَّصريفِ لا في أصْلِ الكَلِمةِ ـ ١١٠
عاشرًا: مَلْحوظاتٌ عامَّةٌ على المُتَنَبِّي ١١١
قائمة المراجع ١١٣
الفهرس ١١٧

طُبِعَ لِلْمُؤَلِّفِ

١ - حَيَاةُ السَّلَفِ بَيْنَ الْقَوْلِ والْعَمَلِ. (الطبعة الرابعة).

٢ - مختصر حَيَاةِ السَّلَفِ بَيْنَ الْقَوْلِ والْعَمَلِ.

٣ - إرْشادُ السَّاجِدِ بأسْبابِ الخِلَافِ والتَّقاطُعِ في الْمَسَاجِدِ.

٤ - الْإِفَاضَةُ في أَحْكَامِ الْحَيْضِ والنِّفَاسِ والْاسْتِحَاضَةِ.

٥ - كَيْفَ تُرَبِّيَ أَولادك؟ (الطبعة الثانية).

٦ - بُيُوتٌ تَئِنُّ مِنَ الْمَشاكِلِ والْخلافَاتِ، الأسْبَابُ والْعِلَاجُ.

٧ - حُقُوقُ الصَّدِيْقِ وكَيْفَ تَتَعَامَلُ مَعَهُ.

٨ - آدابُ طالِبِ الْعِلْمِ وسُبُلُ بِنَائِه ورُسُوخِه.

٩ - الحياةُ الزّوجيّةُ السّعيْدَةُ، قَوَاعِدُ وَحُقُوقٌ وَعِلاجٌ لِلْمُنغّصاتِ.

١٠ - عِلْمُ تَعْبِيرِ الرُّؤَىَ، بَحْثٌ تَأْصيْلِيٌّ عِلْميٌّ تَطْبِيقِيّ.

١١ - الْمَعيْنُ الْجَارِي في اسْتنباطِ الفَوَائِدِ واللطَائِفِ مِنْ صَحِيْحِ الْبُخَارِي.

١٢ - مَنْهَجُ الصَّحَابَةِ والسَّلَفِ الصَّالحِ فِي الْتَّعَامُلِ مَعَ فَتَاوَىَ الْمُفْتِينِ والرَّدِّ عَلَى الْمُخْطِئِين.

١٣ - تَهْذِيْبُ كِتَابِ الْمُوَافَقَاتِ لِلْإِمَامِ الشَّاطِبي، مَعَ التَّعْلِيقِ عَلَيْهِ.

١٤ - مَجالسُ شَهْرِ رَمَضَانَ.

١٥ - قِصَصِي مَعَ الْمُلْحِديْن والْمُشَكِّكيْن والْمُوسْوِسيْن، معَ بَيَانِ طُرُقِ إقْنَاعِهم وَهِدايَتِهم.

١٦ - الْمَسَائِلُ الْمُهِمَّةُ فِي التَّجْويدِ والْأَحْرُفِ السَّبْعةِ.

١٧ ـ عِبَاراتٌ أثَّرَتْ عَلَيَّ وَغَيَّرَتْ في حَيَاتِي.

١٨ ـ عَبْقريَّةُ شَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللّه.

١٩ ـ بَوَّابَةُ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ.

٢٠ ـ صِنَاعَةُ طَالِبِ عِلْمٍ مَاهِرٍ. (الطبعة الثانية).

٢١ ـ صِنَاعَةُ خَطِيبٍ مَاهِرٍ.

٢٢ ـ الْأُنْسُ بِاللّه تَعَالَىٰ.

٢٣ ـ تَقريبُ فَتَاوى ورسائل شَيْخِ الإِسْلامِ ابْنِ تَيْمِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ.

٢٤ ـ فنُّ التَّعَامُلِ واكْتِسَابِ الْأَخْلاقِ.

٢٥ ـ الرُّقْيَةُ الشَّرْعيَّة بين باعةِ الأوهام وأصلها الشرعيّ، قصص وعبر.

٢٦ ـ غِذَاءُ الْعُقُولِ وَصِفَاتُ الْعُقَلَاء.

٢٧ ـ نَثْرُ الْخَـوَاطِـرِ.

٢٨ ـ حَدِيْقَةُ الْمُتَنَبِّي.